# عولمة اللغة وأثرها في الهوية الثقافية

## "مقاربة في ضوء تحديات الصراع الحضاري"

المدرس الدكتور
رائد فؤاد طالب الرديني
جامعة البصرة ـ كلية الآداب

# عولمة اللغة وأثرها في الهوية الثقافية "مقاربة في ضوء تحديات الصراع الحضاري"

المدرس الدكتور
رائد فؤاد طالب الرديني
جامعة البصرة ـ كلية الآداب

## مدخل:ـ

شهد النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين تغيّرات هائلة اجتاحت مجالات الحياة المعاصرة كافة سياسيا واقتصاديا وثقافيا واعلاميا...، فارضة هذه التغييرات نمطا معينا من الحياة ساعد في احداث نقلة نوعية طالت عمق العالم، وغيرت من معالمه الحضارية بما يتواكب والتطورات التي احدثتها، والتي عملت على تشكل عالم جديد يصعب رسم حدوده الزمانية والمكانية، بقدر ما يصعب احتواؤه والسيطرة على بنيته ونظمه المتعددة، إذ اننا اصبحنا ازاء تحولات هائلة ومتسارعة سرعة الضوء، بقدر ما صرنا امام عالم مفتوح خارق لجدار الأنظمة والكيانات المختلفة.

وهذه التغيرات والتبدلات في مجريات العالم لم تكن لتحدث لولا التقدم الهائل الذي تمثل في الثورة العلمية والتقانية وما احدثته من انفجار معلوماتي في عالم الاتصالات والفضائيات ما جعل العالم يتحول إلى قرية كونية متداخلة لاسيما ((وان ما حققه الإنسان في العشرين سنة الأخيرة من القرن الماضي يتفوق على منجزاته جميعها عبر آلاف السنين))[1]، على حد تعبير وليم فارلير.

ولما كانت سياسة التسلط والهيمنة وانفراد جانب واحد بقيادة العالم قديمة قدم الإنسانية، فان هذه السياسة اختلفت في اللحظة الحضارية الراهنة اختلافا

جذرياً عما كانت عليه في الماضي، فعلى الرغم من تفكك المنظومة الاشتراكية المتمثلة في الاتحاد السوفياتي، وبروز النظام الرأسمالي المتمثل في المنظومة الغربية وتحديدا الولايات المتحدة الامريكية، وظهور ما سمي بـ(النظام العالمي الجديد) قوة مسيطرة منفردة بقيادة العالم، الا ان الثورة التكنولوجية وما افرزته من تدفق معلوماتي وتطور في آليات الاتصال والاعلام، قد غيرت موازين القوى واعطت مفهوما آخر للسيطرة والهيمنة واعادت تعريف "القوة" بشكل ينسجم وهذه التطورات التي مكنت للدول الكبرى ان تفرض هيمنة عالمية متشعبة الجوانب، متعددة الاطراف، معتمدة اعتمادا كبيرا على ما أنتجته من تقنيات ووسائل تجعلها قوة عالمية مسيطرة ليس بالمعنى القديم للسيطرة المتمثل في الاحتلال العسكري فحسب، بل تعداه إلى مجالات اوسع مدى واكثر عمقا حيث الاختراق والتغلغل والانتشار، سواء على مستوى الدول أو على مستوى الكيانات والجماعات أو على مستوى الأفراد، وعلى الاصعدة كافة سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا واعلاميا...، لنكون - بذلك - ازاء واقع جديد يعيد تشكيل العالم على وفق ما تمليه السياسات المتحكمة والمسيطرة ذات النظام احادي الجانب الذي يسعى لان يرسم خريطة مستحدثة عن العالم مستغلا التقدم التقاني والعلمي الذي حول العالم إلى قرية كونية تتساقط فيها الحدود وتتلاشى، بقدر ما تتهاوى الهويات وتتحطم، تتصدع الخصوصيات وتمحى، بقدر ما تتآكل اللغات وتفنى، تاركة وراءها حضارت وثقافات ممتدة لآلاف السنين.

نتيجة لذلك فاننا لا نستطيع ان نفهم ونحلل ونستوعب التغيرات العالمية، التي طرأت على حركة التاريخ المعاصر، دون ان نفهم حقيقة التطورات العلمية والتقانية التي جعلت قوى العالم تدير شؤونها " عن بعد " فارضة نمطا موحدا يسهم في خلق واقع جديد متسم بطابع التبعية لصالح الاقوى

تكنولوجيا وتقانيا،بقدر ما هو واقع مفتوح يتجاوز طابع الخصوصيات، مغيرا بذلك مجريات الاحداث وسياقات الزمن، لنكون ازاء عالم يخضع لقانون الاكثر امتلاكا لتقنيات العصر اتصاليا واعلاميا ومعلوماتيا، هو الذي يستحق قيادة هذا العالم والسيطرة عليه وفرض ثقافته وقيمه ولغته، بقدر ما تفرض سياسته واقتصاده تحت نظام القطب الواحد.

إن هذا الواقع بصورته تلك هو ما اصطلح على تسميته بـ((العولمة)) التي هي الوجه الآخر لما عرف بـ((النظام العالمي الجديد)) الذي تشكل مفهومه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، واستتبع - فيما بعد - ظهور بعض المسميات المؤازرة مثل " نهاية التاريخ " و " صراع الحضارت " التي تعد انعكاسا لمضامين العولمة والاسس التي قامت عليها.

وإذا كانت هذه المفاهيم والاسس التي قامت عليها هذا النظريات ليست جديدة وانما سبقتها افكار وطروحات فكرية عدة، فانه وبالمقابل ظهرت الكتابات المضادة/المقاومة لهذه المفاهيم كمثل (ما بعد الكولونيالية)، و(الدراسات الثقافية)، و(التحليل الثقافي)، ومن ثم وصلت اخير إلى ما عرف بـ(النقد الثقافي)، وغيرها من الطروحات التي تعد انعكاسا ورد فعل مباشر أو غير مباشر لمثل هذه المفاهيم، ((ومن هنا تنشأ عملية مقاومة تلقائية حينا، ومخطط لها حينا آخر، تسعى فيها الثقافة التي تتعولم إلى استنهاض تراثها ومميزات حاضرها دفاعا عن كيانها وشخصيتها الخاصة، مما يترك أثره على الأدب ضمن اشكال الثقافة الأخرى))[٢]، فمنظرو ما بعد الكولونيالية سعوا إلى ارساء منهج تأويلي ومعاودة قراءة التمايز بين الانا والآخر في سياق اجتماعي رحب، سياق لا تتمايز فيه المنظومة المعرفية وفقا للتقسيمات الجغرافية، ما بين شرق وغرب، أو شمال وجنوب...، ولهذا فان كتابة ما بعد الكولونيالية تؤكد على الطابع المركب للثقافة التي تجمع شعوب العالم المتنوع،

وهي كتابة قد أزالت الحواجز الأدبية والفنية (شعر، سرد، دراما، موسيقى، فنون تشكيلية...)، بل انها لا تمايز بين اي حقل من حقول الدراسات الإنسانية، فعنصر التهجين الثقافي ووجهة النظر المتنوعة المداخل والملامح في التعامل مع العالم، والتحرر من احادية النظرة ومن سيادة ثقافة ما فوق غيرها من الثقافات، إذ يتميز هذا التوجه الجديد - ما بعد الكولونيالية - بان الثقافة كافة المحلية منها والغربية، تتعايش جنبا إلى جنب، بحيث ان النص الأدبي المنتمي إلى أدب ما بعد الكولونيالية - مثلاً - يصبح فضاء للتفاعلات والتداخلات الثقافية في سياق[٣].

ان تساؤلات نقاد ما بعد الكولونيالية تسعى إلى تعرية البنى المعرفية الامبريالية المترسبة في اللاوعي السياسي والثقافي، ويعد المفكر العربي ادورد سعيد ابرز من اشتغل في هذا الجانب إذ سعى إلى تقويض خطاب الاستشراق وتعرية الوجه الامبريالي للثقافة، ورفض ايديولوجيا الهيمنة، بحثا عن اعادة صياغة عادلة للعالم[٤].

ولعل طروحات النقد الثقافي - الحلقة المتطورة من الدراسات الثقافية وما بعد الكولونيالية - حاولت اكمال هذه الخطوات في ظل التطورات التقانية والتكنولوجية التي طرأت على الحياة العامة وفي المستويات المختلفة، فالنقد الثقافي نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها[٥]، وهذا النشاط المنهجي الذي طرحه النقد الثقافي احدث نقلة نوعية ليس على مسار الرد على الطروحات الفكرية التي تسعى إلى الهيمنة وتكريس احادية الفكر والتوجه ومحاولة تعرية الفكر المضاد من خلال كشف الانساق المضمرة في هذه الطروحات، بل انه سعى إلى إحداث تغييرات منهجية في قراءة النصوص الثقافية العامة الأدبية وغير الأدبية، حيث انه ((لم يعد ينظر إلى النص بوصفا نصا أدبيا يرتكز اهتمام

القارئ فيه حول المعاني الأدبية والجمالية فحسب، إنما بوصفه خطابا ثقافيا يشتمل على الأدبي والجمالي والتاريخي والاجتماعي... كمكونات للثقافة، ويوغل في تفسير التحولات الثقافية واثرها في التحولات الأدبية، وكذا العلاقة بين البنية النسقية وبنية النص الأدبية واللغوية))[٦].

وإذا كانت دراسات ما بعد الكولونيالية وطروحات النقد الثقافي قد سعت إلى دراسة الفكر الوافد وتعريته وكشف انساقه المضمرة، وحاولت نقض مركزية المركز أو القطب الاوحد، والسعي إلى الوقوف مع الثقافات الضعيفة والدفاع عن الهويات الخصوصية ومحاولة تحصينها في مقابل الثقافة المركزية المتمثلة في العولمة الامريكية، فاننا في دراستنا هذه (عولمة اللغة واثرها في الهوية الثقافية)، حاولنا دراسة الآثار المترتبة للعولمة الثقافية - وبخاصة عولمة اللغة - على هويتنا الثقافية بصورة عامة، ولغتنا العربية بصورة خاصة، وبيان المخاطر التي تسببها عولمة اللغة، لاسيما وان تأثير العولمة اللغوية لا ينتهي عند اللغة بوصفها نظاما صوتيا أو اداة للتواصل فحسب، وانما تاثيرها يمتد إلى عمق الثقافة العربية وما حملت من مضامين وما اتصلت به من إرث حضاري يمتد لآلاف السنين، بمعنى ان دراستنا ليست دراسة لغوية محضة وانما هي دراسة ثقافية تستفيد من طروحات النقد الثقافي، وتشتبك مع طروحات الصراع الحضاري للنظر فيما طرحته مقولات العولمة.

إن عولمة اللغة - وكما سبق - تمتد آثارها السلبية - وكما سنرى لاحقاً - إلى سياقات متعددة من الثقافة العربية والى انساق مختلفة، ولعل مضامين الأدب وما يتصل به من طروحات نقدية وتنظيرية ستكون من القضايا التي تتأثر - أو تأثرت إلى حد بعيد - بمقولات العولمة والعولمة اللغوية، فإذا كانت اللغة قد نمت ((بوصفها شكلا للتنظيم الاجتماعي، ويواصل الأدب بوصفه فناً ذلك النمو، فهو يبعث الحياة في اللغة ويدفع النشاط الاجتماعي حيث ان لغته

بوجودها ذاته هي المخلوق والخالق))[٧]، فان من تأثير العولمة اللغوية على الأدب والنقد هو انها ((تفضي إلى تآكل رقعة النقد واتساع رقعة التنظير، السبب في هذا هو علاقة اللغة الانجليزية - بوصفها لغة التبادل الثقافي والمعلومات في حقبة العولمة - بمئات اللغات والثقافات التي تتفاعل معا بتأثير من العولمة))[٨]، وهذا راجع إلى ان العولمة الثقافية هي هيمنة في شكليها الحضاري والشعبي ((فتأثير العولمة يمتد إلى اللغات وما تحمله من فكر وعلوم وآداب مثلما يمتد إلى الاشكال الملموسة من الثقافة كالملبس والمأكل وانظمة الحياة العامة من قوانين وعمارة وعادات، وما اليها... يساعد على ذلك كثرة وسائل الاتصال وسهولة وصول المنتجات الثقافية عبر " الانترنت " وشبكات التلفاز وغيرها من الوسائط، وتوزع دور النشر الغربية في مختلف مناطق العالم، وانتشار السينما التي تؤدي هنا دورا حاسما في نقل المطبوع إلى قطاع عريض من المتلقين...، مما يعني ان تلك القطاعات البشرية الهائلة...اقرب إلى التعرف على افكار (الأدباء) الامريكيين وافكار المخرجين السينمائيين من التعرف على ما في ثقافاتهم المحلية، وهذا ما يؤكد هذه العولمة الثقافية في شكلها الأدبي أو الثقافي الشعبي...، وتأثير هذا الانتشار لا يتوقف عند متابعة الجماهير لما ينشر أو يعرض سينمائيا أو تلفازيا، وانما إلى هيمنة اللغة وأنماط الكتابة والأساليب على الآداب والثقافات الأخرى))[٩].

إن الأدب نتاج لغوي يحقق انتشاره وقيمته العالمية من خلال اللغة التي أنشئ أو كتب بها، أو اللغة التي تمكن من دخولها عبر الترجمة، ولهذا فان تأثير العولمة اللغوية قد امتد إلى دراسات الأدب المقارن، إذ لاحظ بعض الدارسين ان اللغة الانجليزية اصبحت تؤدي دورا وظيفيا قويا وطاغيا في نشر الآداب العالمية، إذ رأى ((بان ما يحتاج اليه الأدب المقارن اليوم هو التخلص من لغويته، وتركها للآداب القومية، ان الباحثين في الأدب المقارن اليوم

يعرفون ان نموذج المقدرة اللغوية الذي ساد من بعد الحرب العالمية الثانية إلى الثمانينيات، لم يعد نموذجا صحيحا، فاليونانية واللاتينية والفرنسية والالمانية لم تعد الاعمدة الاربعة التي يقوم عليها هذا البناء))[١٠]، فضلا عن لغة واحدة متسيدة تقوم بهذا الدور، ولهذا فان الكتابات المقارنة في الأدب والنقد العالميين اصبحت اغلبها مكتوبة باللغة الانجليزية، فمثلا يستشهد احد الدارسين بمقالة (تكهنات حول أدب العالم) لباحث ايطالي مقيم في امريكا هو فرانكو موريتي نشر مقالته التي كتبها باللغة الانجليزية في مجلة انجليزية عام ٢٠٠٠م، فمن بين النقاد الذين يستشهد بهم موريتي ثمة واحد فقط كتب بالاسبانية، وآخر كتب بالايطالية، في حين يستشهد بثمانية عشر ناقدا كتبوا بالانجليزية، هذا التنوع الجدير بالملاحظة، المتمثل في فحص حوالي عشرين من الآداب القومية، تكاد تقتصر قيمته على كونه وسيلة يمكن من خلالها ان نعرف هذه الآداب المختلفة، ان الانجليزية في الثقافة، شأن الدولار في علم الاقتصاد، تؤدي وظيفة الوسيط الذي يمكن من خلاله ترجمة المعارف من المحلي إلى العولمي[١١].

وقبل الدخول في دراسة تأثير عولمة اللغة في الهوية الثقافية، نرى انه لابد لنا بدايةً من تحديدٍ لمفهوم العولمة ودلالته.

## أولاً – العولمة في دلالاتها اللغوية:

العولمة في اصلها ترجمة للكلمة الانجليزية (Globalization) المشتقة من كلمة (Globe) أي الكرة، والمقصود هنا الكرة الأرضية[١٢]، وقد جاء في المعجم العالم الشهير (ويبسترز WEBSTER) ان العولمة (GLOBALIZATION) هي ((اكساب الشيء طابع العالمية، اي جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا))[١٣]، أو هي ((تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل))[١٤].

وقد عبر عن ذلك بمصطلح في اللغة الفرنسية بـ(MONDIALISATION)

الذي يعني ((الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المحدد المراقب إلى غير المحدد الذي ينأى عن كل رقابة))[١٥]. وقد ورد في اللغة اللاتينية مصطلح (Globalization) ليدل على مشروع لمركزة العالم في حضارة واحدة.[١٦]

أما في اللغة العربية وتحديدا من الناحية الصرفية فهناك شبه إجماع على اختيار كلمة (عولمة) ترجمة للكلمة الانجليزية (Globalization) وهذه الصيغة "عولمة" مشتقة عن الفعل (فوعل) وهو من أبنية الموازين الصرفية التي تدل على الممارسة والفعل، وعليه فان الفعل (عولم) يعني (صير العالم وفق رؤيته) وهو ما ينطبق على الصيغة (ization) الدالة على التحول والتغير بخلاف الصيغة الاسمية (ism) التي تدل على الجمود والثبات لتعطي معنى (العالمية) اذا اقترنت بكلمة (Global)[١٧].

لذا وجب ان نفرق - في ترجمة مصطلح العولمة - بينه وبين المصطلح الآخر وهو (العالمية)، فبقدر ما تعني (العالمية) الانفتاح على الآخر وفق مبدأ التلاقح والحوار والتبادل المثمر، فان العولمة قائمة على أساس "مركزية القطب الاوحد" الذي يتخذ مبدأ الهيمنة والتوسع والتأثير على حساب الثقافات وحضارات الشعوب[١٨]، وهذا ما سيتبين من خلال دلالات العولمة وتجلياتها فيما بعد.

فضلا عن ذلك كله فان هناك صيغا أخرى أو مرادفات لكلمة العولمة كمثل (الكوكبة) و (الكونية) أو (الكوننة) و(الشوملة)، الا ان كلمة العولمة هي التي شاعت في الاوساط الثقافية والأدبية مصطلحا معبرا عن هذه الظاهرة.

## ثانياً - العولمة في دلالتها الاصطلاحية:

على الرغم من تعدد الشروح والتفسيرات التي تناولت مفهوم العولمة الا انها في معناها العام لا تخرج عن دلالتها اللغوية المتمثلة في ((تعميم الشيء

وتوسيع دائرته ليشمل الكل))، الا اننا حين نريد تعريفا دقيقا للعولمة فسنكون ازاء تعدد للآراء واختلاف للمفاهيم لدى كل من تناول هذه الظاهرة، إذ ان صياغة تعريف دقيق للعولمة مسألة شاقة، نظرا لضبابية المصطلح اولا، ذلك ان ((العولمة مصطلح شاع بسرعة تفوق شروط تشكل المعنى وتأسيس المرجعية التي يحيل اليها في الواقع، فهو لفظ مشحون بعديد المعاني، لانه ما زال يبحث عن مدلول مادي واضح، فهو الآن يعني كل شئ، ولا يعني شيئا بعينه))[١٩]، مما جعل المصطلح فضفاضا غير واضح المعالم والسمات.

وهناك سبب يرجع إلى الذين حاولوا الكشف عن مفهوم العولمة من خلال تعريفاتهم ((التي تتأثر أساسا بانحيازات الباحثين الايديولوجية، واتجاهاتهم ازاء العولمة رفضا أو قبولا))[٢٠].

تبعا لذلك فإننا لا نستطيع ان نجد تعريفا " جامعا مانعا " يستوعب ظاهرة العولمة ككل بقدر ما هي آراء ووجهات نظر ووصف لهذه الظاهرة، حاولت ان تعطي تصورا لجزئيات العولمة، وما يرافقها من فهوم متعددة تسعى جاهدة لان تمنحنا رؤية قريبة أو بعيدة لادراك العولمة وآليات نظمها وبنيتها.. فضائها وتجلياتها.. أهدافها وغاياتها.. من زوايا عدة، وكل حسب مرجعيته وما تنطوي عليه هذه المرجعية من توجهات.

بداية يقرر احد الباحثين من انه ((اذا اردنا ان نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة فلا بد من ان نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها: العملية الأولى تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس، والعملية الثانية تتعلق بتذويب الحدود بين الدول، والعملية الثالثة هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات)).[٢١]

لذا فان العولمة - وفقا للمفهوم الذي وضعه روبرتسون - تعني: تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفا واحدا، وظهورا لحالة إنسانية عالمية واحدة [٢٢]، وقد جاء في تقرير (جوارنا الكوني) المقدم حول (حاكمية قيادية كوكبية) في عام ١٩٩٤، ان العولمة ((تحرك متسارع نحو عالمية متكاملة عززه الغاء القيوم التنظيمية والتفاعل مع التغيرات المتسارعة في تكنولوجيا الاتصالات والحاسب))[٢٣]، وقد حاول احد الباحثين شرح هذا المفهوم للعولمة وتبسيطه والاحاطة به من جوانبه المختلفة إذ رأى ((ان العولمة ظاهرة تتداخل فيها امور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك يكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية للدول، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصعد تؤثر في حياة الإنسان في كوكب الأرض اينما كان، ويسهم في صنع هذه التحولات ظهور فعاليات جديدة هي الشركات المتعددة الجنسيات "TNCS" التي تتسم بالضخامة وتنوع الانشطة، والانتشار الجغرافي والاعتماد على المدخرات العالمية وتعيين الكفاءات من مختلف الجنسيات))[٢٤].

من هنا نظر بعضهم إلى العولمة بكونها اتجاها متناميا يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة، تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول[٢٥]، بمعنى آخر ان العولمة ((اصطباغ عالم الأرض بصبغة واحدة شاملة لجميع اقوامها وكل من يعيش فيها وتوجيه انشطتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الاديان والثقافات والجنسيات والاعراق))[٢٦].

تبعا للآراء السابقة فان العولمة منظومة شاملة تتخطى حدود الدول محدثة كسرا للحواجز والفروقات بين التجمعات الإنسانية المختلفة للوصول إلى حالة من المركزية في مجالات الحياة كافة، تتوحد فيها المعتقدات والعادات والقيم والثقافات بحيث يستحيل العالم فيها ((دائرة مركزية مغلقة)) اقتصاديا

وسياسيا واجتماعيا وثقافيا واعلاميا ولغويا...، تتلاشى في داخلها التمايزات الحضارية بين المجتمعات مستفيدة عما وصلت اليه التطورات العلمية والتقانية من انجازات في مجال الاتصالات والفضائيات والمعلومات.

## ثالثاً - مجالات العولمة:

وفقا لما تقدم فان للعولمة مجالات متعددة في الاقتصاد والسياسة والثقافة والاعلام واللغة، فهي تعني اقتصاديا ((اندماج اسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات ضمن اطار من رأسمالية حرية الاسواق وخضوع العالم لقوى السوق العالمية))[٢٧].

اما في مجال السياسة فان العولمة - كما يراها محمد عابد الجابري - ((ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي ايضا وبالدرجة الأولى ايديولوجيا تعكس ارادة الهيمنة على العالم))[٢٨].

في حين تعني ثقافيا ((السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بواسطة مكتسبات العلوم والتقانة في ميدان الاتصال وهي التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون))[٢٩]، كذلك تتجلى العولمة - اجتماعيا - في انتشار بعض انماط القيم والسلوكيات الغربية بصفة عامة والامريكية بصفة خاصة، وبالذات فيما يتعلق بالمأكل والملبس والترفيه... على نطاق عالمي واسع[٣٠].

ومن أهم مظاهر العولمة في مجالات الاعلام والمعلومات والاتصالات، الثورة الهائلة التي حدثت في هذه المجالات خلال السنوات الأخيرة والتي ادت إلى كثافة التدفق الاعلامي والمعلوماتي عبر حدود الدول، الذي لم يعد بمقدور اية دولة في العالم ان تمنعه[٣١].

أما مظاهر العولمة في الجانب اللغوي، فإنها تظهر من خلال سعي العولمة إلى تغليب لغة على حساب لغات أخرى بدعوى التواصل بين شعوب العالم وبناء جسور التقارب والتفاهم والاندماج من خلال لغة عالمية واحدة.

فالعولمة - نتيجة لذلك - منظومة شاملة تتداخل فيها امور السياسة والاقتصاد والثقافة والاعلام والاجتماع واللغة...، تداخلاً لا نستطيع معه تفريقا بين جانب وآخر، فهي كل متكامل يؤثر بعضه على بعض ويستفيد كل جانب من الآخر في "حركة دائرية " كدوران الكرة الأرضية المشتق منها تعريف العولمة، فمجالات العولمة دوائر متداخلة، تشكل كلا متكاملا لمنظومة يراد لها ان تسود العالم وتؤثر على مجرياته؛ وعليه فاننا لا نستطيع ان نحصر مجالات العولمة في جوانب محددة كالاقتصاد والسياسة والثقافة... كما هو ظاهر في اغلب الطروحات التي تناولت هذه الظاهرة، بل العولمة هي عولمة للحياة والكون والانسان بشكل يجعل العالم كله عبارة عن قرية كونية يسهل السيطرة عليها وادارتها؛ تبعا لذلك فان العولمة متعددة كتعدد مجالات الحياة، فمثلما يوجد عولمة للاقتصاد والسياسة والاعلام والاتصالات...، فهناك عولمة للغة، وعولمة للاجتماع، وعولمة للانسان والمدينة والمعرفة.....

إذن فمفهوم العولمة لا يمكن تحديده بشكل يستوعب هذه الظاهرة، بقدر ما تعطينا هذه المفاهيم تصورا عاما يستجلي بعضا من جزئيات العولمة وما ينطوي عليها من اسس ومقومات، ويبقى المصطلح مفتوحا لآراء ومفاهيم عدة قدر ما تتجاوز هذه الظاهرة في اتساعها وتمددها، الا انه يستوجب علينا ان نشير إلى بعض الايضاحات التي اراها ضرورية لاستجلاء ظاهرة العولمة.

بداية لابد من الاقرار بانه ليس من الصواب ان ننظر إلى العولمة بوصفها كلا واحدا لا يحتمل الا حكما واحدا فهي اما شر كلها أو خير كلها، بل يجب ان تكون نظرتنا إلى العولمة بوصفها معادلة ناتجة عن مركبات عدة، فيها ما هو

ايجابي وفيها ما هو سلبي، وفيها - كذلك - ما هو شر بعضه وبعضه الآخر ما هو اقرب إلى الخير، فالعولمة - كما سبق - اعتمدت اعتمادا كبيرا على التطورات العلمية والتقانية، وهو مقوم أساس من مقوماتها، وهذا جانب ايجابي، إذ ان العولمة - من خلال هذا الجانب - توفر امكانات مفتوحة للجميع يجعلها مشاعة بين البشر، ولذا فان ((لحظة العولمة هي لحظة الاستفادة القصوى من معطيات ونتائج هذه الثورة [أي الثورة العلمية]، بل ان العولمة والثورة العلمية والتكنولوجية هما وجهان لا ينفصلان لعملة واحدة وسياق تاريخي وحضاري واحد))[٣٢]، وهذا الجانب - في حقيقته - هو جانب تنافسي بين الدول والشعوب لاثبات قدرتها على التفوق والتقدم والوصول إلى أهدافها وغاياتها.

أما الجانب الآخر في العولمة فانه يتمثل في أهداف العولمة وغاياتها، وهذا الجانب سلاح ذو حدين؛ فالعولمة - كما يرى منظروها والداعون إلى تبنيها - تهدف إلى اقامة نظام كوني عالمي يتوحد فيه البشر بانتماءاتهم المتعددة ونزعاتهم المختلفة وتباين اتجاهاتهم وولاءاتهم ومعتقداتهم، وعلى الاصعدة كافة سياسيا واقتصاديا وثقافيا واعلاميا ولغويا...، وقد تبدو هذه الأهداف إنسانية منبثقة لخدمة شعوب العالم تحت مظلة " المصير الواحد للبشرية "، ولاسيما حين نجد ان بعضا من تلك الأهداف هي لخدمة الإنسانية - في ظاهرها - كالاهتمام بقضايا البيئة وحقوق الإنسان والتصدي لقضايا الفقر في العالم وغيرها من المسائل الشائكة في هذا العالم، الا ان هناك أهدافا أخرى للعولمة لاتصب في خدمة الإنسان بقدر ما تكون خلاف ذلك تماما، فمسألة التنوع بين الناس واختلاف انتماءاتهم ونزعاتهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم امر فطري من طبيعة البشر، ومحاولة توحيدهم في بوتقة واحدة وحصرهم في اتجاه واحد أو رؤية واحدة مغلقة هو جزء من فعل المستحيل الذي لا يتم الا حينما

يتجرد الإنسان من تاريخه وهويته.. قيمه ومعتقداته.. عاداته وطبائعه، وهذا الأمر له من الآثار السلبية التي - ربما - ترجع بعكس ما كان مرسوما له بل الجانب الطبيعي في ذلك هو الاعتراف بالتنوع والاختلاف بين البشر وبدء محاولة التحاور والتبادل والتعاون على أساس المشترك الإنساني القائم على احترام الآخر، هذا اذا حاولنا تفسير تلك الأهداف والغايات بحسن نية!

ثم ان العولمة لكونها نظاما يهدف إلى توحيد البشر في مجالات متعددة، فانه نظام مبني على أساس ومقومات تكونت في اطار خاص ببيئة معينة لها ابنيتها وانظمتها المتميزة والمستقلة عن غيرها، كما لها خصوصياتها وفضاؤها الذي تشكلت فيه، بمعنى آخر ان العولمة تمثل في مضمونها أنموذجا غربيا بانماطه المتعددة سياسيا واقتصاديا وثقافيا.. اعلاميا ولغويا...، وهذا الأنموذج لا يمكن ان يستوعب مجتمعا عالميا باتساعه الممتد على الكرة الأرضية بأكملها حتى وان استطاع هذا الأنموذج ان يخرق جدار تلك المجتمعات ويحطم هوياتها واسيجتها المحصنة فيها، فانه من الصعب بمكان ان نحكم ان هذه المجتمعات قد قبلت هذا الأنموذج عن رضا، أو انها نجحت في التكيف معه، لاسيما حين نعلم ان هذا الأنموذج اتخذ منحى الفرض والالزام في الوصول إلى أهدافه وغاياته، بمعنى ان الأهداف المرجوة من العولمة - على الرغم من صعوبة فرضها بشكل ينسجم وطبيعة البشر - اخذت طابع الهيمنة والتسلط؛ فمن الامور البديهية ان قيادة العولمة بآلياتها وانظمتها المتعددة استحالت إلى قطب اوحد متمثل في المنظومة الغربية وتحديدا الولايات المتحدة الامريكية التي احكمت سيطرتها على العالم بفعل معطيات كثيرة.. عسكرية وسياسية واقتصادية وتكنولوجية واعلامية....، لتغدو امريكا المستفيدة الأولى من ظاهرة العولمة.

ولذلك فان العولمة بجانبها السلبي يتمثل في هذه السياسة التسلطية التي تسعى إلى امركة العالم وجعله تابعا للاقوى، مستهلكا غير منتج، ولهذا

وصف بعضهم هذه العولمة التي نعيشها بانها ((حضارة المركز وتبعية الآخر))[٣٣]، فالعولمة التي تقودها امريكا اليوم إنما هي قائمة في حقيقتها ((لصالح الآخر على حساب الانا وقوة الآخر في مقابل ضعف الانا وتوحيد الآخر في مقابل تفتيت الانا))[٣٤].

تبعا لذلك فان العولمة في دلالتها السياقية المعاصرة تأتي مرادفة لكلمة " الامركة " عند كثير من المفكرين والمثقفين الذين حاولوا كشف أهداف هذه الظاهرة ونواياها، التي دلت دلالة واضحة على سياسة التفرد والسيطرة التي ترمي إلى امركة العالم واخضاعه وفق سياسة استعمارية تسلطية تجعله يسير على نظام موحد يعكس القيم الامريكية في مجالات الحياة كافة، مستفيدا من معطيات الثورة العلمية والتقانية وما احدثته من تطور في مجالات الاتصالات والفضائيات وتدفق المعلومات في فرض هذه الهيمنة، الأمر الذي يجعل هذا الجانب من العولمة مرفوضا وعدّه تعديا على الخصوصيات وضربا للهويات.

يقول احد الباحثين ((ان العولمة تتضمن الكثير من الفرص والمخاطر المتداخلة، ولاشك ان تداخل الفرص والمخاطر هو التي يؤدي إلى تفاوت المشاعر والاحاسيس والمواقف تجاه العولمة اشد التفاوت. فبعضهم يظهر كل التفهم للعولمة، ويرحب بفرصها المعرفية والاستثمارية الواضحة كل الوضوح، ويدعو من ثم إلى الانغماس في لحظة العولمة للاستفادة منها ومن معطياتها، وبعضهم يبدي التخوف من مخاطر العولمة الكثيرة، ويرفض دلالاتها الاستغلالية ومضامينها الاستهلاكية، ويدعو من ثم إلى الانكماس من اجل حماية الذات الحضارية والهوية الثقافية التي تبدو مهددة من قبل العولمة. وبعضهم الآخر يشعر بمزيج من المشاعر الايجابية والسلبية، ويحاول ان يوفق بين الانغماس من ناحية، والانكماش من ناحية أخرى))[٣٥].

**العولمة ودورها في صراع الحضارات:**

إن الامكانات التي تطلقها العولمة اليوم بانظمتها وآلياتها.. بفضائها ومجالاتها..، تجعلنا ازاء واقع جديد، واقع يتغير معه العالم في كل جزئية من جزئياته، إذ لم يعد العالم - في عصر العولمة - كما كان، سواء بارتباطاته وسياقاته التاريخية، أو بجغرافيته وازمنته المتعددة، أو بفلسفته وتركيبته الحضارية، ان عالمنا اليوم - وبفعل ما تتيحه العولمة من امكانات - يتجه نحو الانفتاح العالمي في كل شيء، وسواء أكان هذا الانفتاح على حساب خصوصيات الشعوب وهوياتها أو كان غير ذلك، فأنه - في النهاية - ستكون ثماره لصالح الاقوى اقتصاديا وثقافيا وسياسيا.....

وإذا كانت ((البيئة الجغرافية التي ينشأ فيها شعب من الشعوب لها أثر كبير في الشكل الحضاري الذي ينشئه لان الإنسان يأخذ مادة حضارية مما حوله))[٣٦]، فان البيئة الجغرافية ستغدو-في عصر العولمة- متلاشية أو متماهية، أو بكلمة أخرى معدومة لصالح بيئة واحدة وهي بيئة العولمة، وهو ما يراد لها ذلك، ومن هنا ذهب بول فيريليو إلى القول باننا نشهد الآن (نهاية الجغرافية)[٣٧]، حيث اختزال المكان وانضغاط الزمان وتقارب المسافات مما جعل العالم يتحول إلى قرية كونية أو مجتمع صغير يكاد يعرف كل من فيه كل ما فيه ويكاد كل ما فيه يعني كل من فيه،[٣٨]، لذا فان الحضارات المتباعدة الأزمان والأمكنة ستغدو في عصر العولمة قريبة على التماس فيما بينها، وهو ما يعني ان المرحلة الحضارية الراهنة ستشهد تحولا جذريا راهنا في مجال المحافظة على الهوية الحضارية واثبات الذات والتمسك بالخصوصيات الثقافية للشعوب والدول التي تخشى من طغيان النموذج الغربي، متمثلا في منظومة القطب الأوحد الذي غدا مسيطرا على مجريات الأحداث وموجها - في الوقت نفسه - ثقافات الشعوب نحو ثقافة وحضارة واحدة هي ثقافته

وحضارته المبنية على قيم استهلاكية تعكس حضارة الاقوى سياسيا واقتصاديا وإعلاميا....، الأمر الذي دعا فرانسيس فوكاياما في كتابه (نهاية التاريخ الإنسان الاخير) إلى الحكم بشكل جازم من ان الليبرالية وفق الطبعة الامريكية قد انتصرت بعد سقوط الاتحاد السوفياتي السابق، وان الأمم والحضارات تتجه باتجاه الليبرالية الامريكية التي تسمى "العولمة" وان ذلك ايذان بنهاية التاريخ الحضاري للشعوب جميعا[٣٩].

إن الحكم الجازم الذي تبناه فوكاياما على نهاية الحضارات وصعود الحضارة التي يراها الأنموذج الامثل للبشرية ما هو الا مصادرة لحق الشعوب في العيش والتعبير عن ذاتيتهم وخصوصياتهم، أو بكلمة: هو مصادرة لإنسانيتهم.. ذلك ان الحضارات هي صورة عاكسة لتجارب البشر عبر امتدادهم الجغرافي وسياقهم الزمني، وان فرض حضارة مبنية على هذا الامتداد وذلك السياق هو قطع لعناصر البقاء والاستمرار في الحياة؛ ان ((الذاتية سمة مميزة ومكونة للكائنات البشرية))[٤٠]، وان اسلبة هذه الذاتية هو اسلبة لحقهم في التعبير عن انسانيتهم.

إن معايير شعب وثقافته ولغته لا يمكن ان تعمم على البشر جمعاء وكأنها مسلمات ينبغي على الجميع الانصياع لها والاستجابة لأنموذجها.. في حين انها تشكلت ضمن بيئة وظرف وتجربة معينة، وهي ليست شرطا لان تتشكل بالمعطى نفسه وبالحس ذاته الذي تولدت فيه ثقافة شعب دون آخر..ان التحضر ليس ظاهرة مكتسبة، وليست ارثا يتوارثه "أو يتناقله"البشر[٤١].

وإذا كان توينبي قد احصى ما يزيد عن العشرين حضارة عرفها تاريخ البشرية، فانه من غير المعقول ان تقدم الشعوب تنازلا عن حضاراتهم، الأمر الذي يعني تنازلا عن هوياتهم وخصوصياته الثقافية، ومن هنا فان هنتنغتون في كتابه (صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي) حاول ان يتجاوز

طروحات فوكاياما إلى القول بحتمية صراع الحضارات التي عدها الحلقة الأخيرة في سلسلة تطور الصراع، إذ رأى ان الاختلاف بين الحضارات حقيقة واقعة وان الوعي بالحضارة آخذ في التزايد.. ومن ثم فان الصراع الحقيقي لن يختفي وانما سيكتفي كل منهما بتغيير مصادره واتجاهاته وتبديل اشكاله بالتحول من صراع دول ومجتمعات وطبقات إلى صراع ثقافات وحضارات(٤٢).

وبدلا من ان تلتقي الحضارات على أساس من علاقات التبادل والتفاعل والتحاور، فان حتمية " الصدام الحضاري " بين الغرب والآخرين - كما روج لها منظرو العولمة - ستكون استراتيجية المرحلة القادمة التي ستشهد صراعا لا يقوم أساساً على التحضر - كما يجب ان يكون - بقدر ما هو قائم على الهيمنة والتسلط ونفي الآخر، وهو ما يؤكده منظرو صراع الحضارات الذين دعوا إلى العمل على تصفية الحضارات " القديمة " واعتماد الحضارة الغربية احادية الجانب وفرضها عل كل الشعوب والامم بالاكراه والقوة، بوصفها هي الحضارة الوحيدة الجديرة بالبقاء، وان العالم اصبح لا يتسع لاكثر من حضارة واحدة؛ الا ان الشعوب سوف لن تستسلم بسهولة في هذا الصراع بل ستسعى جاهدة لاثبات وجودها وتأكيد هويتها الحضارية، ومن هنا فان النزاعات الكبرى في المستقبل - كما يرى هنتنغتون - ستدور على خطوط التماس بين الحضارات بسبب الاختلافات الجوهرية بين الحضارات من النواحي التاريخية واللغوية والدينية والثقافية والتقاليد(٤٣).

إن كل المعطيات الراهنة تؤكد اننا اصبحنا ازاء مرحلة تختلف اختلافا متباينا عما سبقها من مراحل تاريخية ماضية؛ فعلى الرغم من ان الحضارات الماضية كانت تمارس بشكل أو بآخر نوعا من السيطرة والهيمنة والتوسع بوصفها - أي الحضارات - ((تميل بطبعها إلى الانتشار))، وان ما من حضارة

حية ومزدهرة، راهنة وفاعلة، الا وتمارس قدرتها على التوسع والانتشار، عبر نتاجاتها وابتكاراتها المادية والتقنية، أو الفكرية والرمزية، الا ان العلاقة بين الحضارات لم تكن وحيدة الجانب، وانما كانت علاقة تبادل وتفاعل، بقدر ما هي علاقة تحد ومواجهة، فنحن تأثرنا بالفكر اليوناني القديم، قدر ما اثرنا في الفكر الغربي الحديث(٤٤)، فضلا عن ان الحضارات اليونانية والرومانية قد أخذت أيضاً من الحضارات الشرقية القديمة كحضارات وادي الرافدين وغيرها.

لقد كنا أمام عالم لا ينغلق على نفسه، عالم قائم على الانفتاح من خلال الحوار المستمر وقبول الرأي الآخر، اما في عصر العولمة فان البشرية تدخل مرحلة جديدة تقوم على محور الاحادية القائم على الانغلاق والغاء الآخر ونفيه والتعدي على خصوصياته الثقافية، وهذا ما تتصف به الحضارة الامريكية متمثلة في عولمتها التي لا تؤمن باي حوار يقوم على أساس الندية بين الحضارات وهو ما يعبر عن النظرة الاستعلائية "الامريكية" التي كانت احدى وجوهها ما سمي بـ(العولمة الثقافية).

ومصطلح العولمة الثقافية يمكن النظر اليه من معان متعددة اولها استشعار احدى الثقافات البشرية التفوق على الباقي، وثانيها حصر الممارسة الثقافية في القطاعات المزدهرة التي تجلب الرخاء المادي وعزة النفس وحصانة الوطن، اما ثالثها التجاوز عن ثغرات ثقافة الازدهار والتقليل من جوانبها السلبية بالقياس ما توفره من رخاء وعزة وحصانة، ورابعها ادخال الثقافة المتفوقة في علاقة قوة مع غيرها من ثقافات شعوب الأرض بهدف تنشيط الصراع الاستئصالي الذي ينتهي في الغالب بحفظ البقاء للاقوى والتعجيل بانقراض الاضعف ثم الضعيف(٤٥).

إن (عولمة الثقافة) إنما تدعو إلى فرض ثقافة واحدة لا غير، هذه الثقافة

بكل مضامينها وأسسها ومرتكزاتها، ولكون اللغة هي المرتكز الأساسي والرئيس لكل ثقافة، فان اللغة تغدو هي العمود الفقري لهذه الثقافة، مقابل هذا هي تدعو إلى التخلي عن كل اللغات الأخرى أو على اقل تقدير جعل اللغة الام هي لغة الثقافة المسيطرة والاقوى تلك التي تهيمن وتسود على كل الثقافات الأخرى.

## الهوية الثقافية وتحديات العولمة:ـ

الهوية مفهوم ذو دلالة لغوية، وفلسفية، واجتماعية، وثقافية، فلفظ "هوية" مشتق من اصل لاتيني sameness ويعني الشيء نفسه بما يجعله مبنيا لما يمكن ان يكون عليه شيء آخر ويميزه عنه، كما يتضمن مفهوم الهوية الأساس بالانتماء القومي والديني والإثني(٤٦).

والهوية في مفهومها الشامل قيمة جوهرية في حياة الإنسان بوصفه كائنا ثقافيا قبل ان يكون كائنا بيولوجيا، وجوهر الهوية الانتماء، وهو الذي به يفارق الإنسان آدميته الغريزية، مرتقيا إلى آدميته، المتسامية، والانتماء مضمون وابلاغ، فاما المضمون فعقيدة، تكفل له الإيمان وتقيه شر الضياع، في الوجود، واما الابلاغ فلغة تؤمّن له التواصل الإنساني الخلاق، فاذا تصاقبت دائرة الإيمان ودائرة اللسان كان الانتماء إلى التاريخ، وكان الاستشراف إلى المآل(٤٧).

فهوية الفرد هي ذاتيته ومدى التزامه الذي يميزه عن غيره، والهوية كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون بوصفه منتميا لتلك الجماعة(٤٨)، وهي تشير إلى صيغة

الوعي النفسي بالذات عبر الآخرين[٤٩]، وتعد الهوية الثقافية الرمز أو القاسم المشترك والنمط الذي يميز فرد أو مجموعة من الأفراد أو شعب من الشعوب عن غيره[٥٠].

وإذا كانت الهوية الحضارية والثقافية ((هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى))[٥١]، فان المرحلة الراهنة ستشهد - أو انها تشهد الآن - تحولا في نوع المواجهة، انها مواجهة من اجل اثبات الهوية الحضارية والمحافظة عليها وحمايتها من أي اعتداء يسعى إلى تذويبها أو محوها، وهو ما ينذر بحروب مستقبلية تكون غايتها مواجهة الاخطار المحدقة بالهوية والانتماء.

فالممارسات الفوقية التي تمارسها العولمة "الامريكية" إنما تسعى إلى صياغة هوية كونية شمولية ذات طابع ازدواجي في المعايير، وهذه الهوية بقدر ما تعبر عن خصوصيات وقيم منظومتها المتمثلة في الولايات المتحدة الامريكية بقدر ما ترفض خصوصيات وقيم ما سواها من الحضارات والثقافات الأخرى، ان الهوية التي يراد فرضها في الواقع إنما هي جزء من استراتيجية تسعى إلى تنميط البشر.. قيمهم.. ومفاهيمهم.. وسلوكياتهم.. وفق معايير جديدة تقوم على الهيمنة والتسلط، ومحاولة اخضاع الآخر واسلبته عن كل ما يحمل من ارث يشكل هويته وذاتيته، انها استراتيجية قائمة على المواجهة والصراع، ولهذا فان الشعوب ستحاول خوض صراعها عبر اثبات وجودها وتأكيد هويتها الحضارية، فـ((الهوية كوحدة كلية حين يتعرض جزء منها إلى التهديد فإنها تسعى للدفاع عن نفسها ومكوناتها وذلك عن طريق الاسلوب والاستراتيجية المناسبة لطبيعة الخطر. فهي بذلك تنتعش وتتقلص أو تهادن أو

تدافع وتهاجم كاي كائن حي له ميكانزيمات البقاء))[٥٢].

**اللغة والهوية الحضارية:ـ**

تعد اللغة - كما سبق - ابرز العناصر المميزة والفاعلة في تشكيل الهوية الثقافية وبلورتها، مثلما هي العامل الأساس والمعبر عن هوية الأمة وحضارتها، فلا نستطيع الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية، فغالبا ما تقترن اللغة باسم الأمة وهويتها القومية فتصبح أساساً مميزا لها عن بقية الأمم في حالة التعرف عليها أو على الأفراد المنتمين لها، فنقول: ان للعرب لغتهم وهي اللغة العربية، وللفرنسيين لغتهم وهي اللغة الفرنسية، ولليونانيين لغتهم وهي اللغة اليونانية، وللالمان....، ويشذ عن هذه القاعدة جميع الشعوب التي فقدت لغاتها الاصلية واكتسبت لغات قومية أخرى سواء عن طريق الهيمنة الاستعمارية، ام عدم قدرة لغاتها على التطور وعجزها عن الايفاء عن العلم والفكر والتكنولوجيا، واقرب ما يعبر عن ذلك الشعوبُ الافريقية الناطقة باللغة الانجليزية أو الفرنسية، وشعوب امريكا اللاتينية الناطقة باللغة الاسبانية أو اللغة البرتغالية، واللغة الانجليزية في الهند مقابل تعدد اللغات المحلة، وهذه كلها لغات لا تعبر عن هوية الشعوب القومية[٥٣].

إن الفصل بين الأمة ولغتها لا يبقي من الأمة شيئا، إذ ان المساس بمكون سياسي من مكونات الأمة كاللغة يفقدنا الارث والتاريخ والمستقبل، فلا كيان ولا مكان للامة ما من غير لغة، فاللغة كالهوية صنوان يصعب الفصل بينهما، ان لم يكن مستحيلا، بل ان فهم الهوية بوصفها ظاهرة لغوية وخاصية من خصائص اللغة ووظيفة من وظائفها الأساسية امر ملزم يصل إلى حد القدسية[٥٤]، ولهذا فان كل امة تفتقد بناها اللغوية، تظل امة عضوية جسدانية مثلها مثل الكوائن القطيعية البهيمية، ومن ليس له بعد لغوي، ليس له بعد معرفي، ومن ثم ليس له بعد ذاتي، وتسوقه دالات غريزية وعفوية، اما

الإنسان العقلاني فهو كائن لغوي بطبعه، لا يعيش اللغة فردا وانما يعيشها مجتمعا، ومن هذا المعادل يمكن النظر إلى اللغة على انها فن المثاقفة المدنية في مجتمع متحضر(٥٥).

فقلب الشعب ينبض في لغته، ولغة الآباء والاجداد بمثابة مستودع لكل ما للأمة من ذخائر الفكر، والتقاليد والدين والفلسفة والتاريخ فاللغة اذن مكمن القلب والروح للامة، وانها الوطن الروحي الذي يؤوي من حرم وطنه على الأرض(٥٦)، ولهذا فان اللغة تعد الحامل الاكبر للمنتج الثقافي، وهي الجسر الاعظم للمسوق الاعلامي، وهي السيف الامضى في الاختراق النفسي، وعليها مدار كل تسلل ايديولوجيا واندساس حضاري، فدعاء الاممية وانصار العولمة والمحتشدون وراء الكونية يعلمون علم اليقين ان اللغة هي ام المرجعيات: في تشييد المعمار الحضاري، وفي بناء صرحه الثقافي، وليس من عاقل يسلم باكتساء النظام العالمي الجديد ثوب الحرب الاقتصادية والثقافية الا وهو يسلم تسليما طوعيا بانه - على تعدد ارباب - حامل لبذور الصراع اللغوي المحتدم، فتفتيت القوميات المتماسكة، وخلخلة الثقافات الراسخة، وارباك اللغات ذات المتانة الرمزية بدفعها نحو التشظي: تلك هي حقائق الحرب الثقافية، وتلك هي طلائع الحرب اللغوية التي تطرق المنافذ وتدق الابواب بعنف صامت عنيد(٥٧).

إن وظيفة اللغة في العصر الحديث لم تعد تقتصر على الاتصال، وانا اصبحت هوية الأمة التي تتكلم بها وحضارتها فضلا عن كونها رابطة لسانية تربط اجزاءها وتشعرهم بانتمائهم، فلو كانت وظيفتها مجرد وسيلة للاتصال لامكن استبدال اية وسيلة أخرى بها ولربما تكون اوسع انتشارا منها، ونظرة بسيطة لصفحات التاريخ المعاصر تظهر محاولات قوى التسلط الاستعماري لفرض لغتها ومحو آثار اللغة القومية بكل الوسائل لتخترق بذلك ثقافة الأمة

التي تفرضها عليها وافكارها بعد اختراقها بسلاحها واقتصادها، بل ان فقدان اللغة حروفها التي اعتادت عليها ان تكتب بها وتبديلها بحروف أخرى يصيب الناطقين بها بظواهر اهتزاز ملامحهم الحضارية والقومية فكيف اذا تغيرت اللغة نفسها وسيطرت على الأمة لغة أخرى تحتل فكرها وتهز هويتها(٥٨).

تبعا لما تقدم فان اللغة هي الاداة الرئيسة التي من دونها لا نستطيع تحديد الهوية المعبرة عن ذاتية قوم ما والتعرف على انتماءاتهم.. تاريخهم.. وماضيهم الحضاري، فقيمة اللغة لا تكمن في بنيتها الصوتية، أو انظمتها النحوية، بقدر ما تكون قيمتها في سياقها الثقافي وامتدادها التاريخي ومرجعيتها الفكرية، مما يعني ان اللغة ليست بالضرورة اداة مجردة لتبليغ الافكار أو للتفاهم بين المجتمع، بقدر ما هي صورة ناطقة باسم متكلميها واداة معبرة عن وعيهم وبنية ادراكهم وتطلعهم الحضاري ماضيا وحاضرا ومستقبلا، ((فهي على مستوى الماضي "الذاكرة الجماعية للامة" الحافظة لخلاصة تجربتها في التاريخ وحصيلة ما اسست لنفسها من اساليب النظر والتقسيم والاكتشاف... وهي على مستوى الحاضر خير معبر عن الهوية القومية للامة وما انتهت اليه من درجات النضج والنمو... وهي على مستوى المستقبل طريق وحيدة لكل نمو داخلي عضوي يمكن ان يستفيد من التجارب الإنسانية كافة دون ان يركن إلى التواكل والبحث عن الحلول الجاهزة الملفقة، أو يجنح إلى الاتباع فيقبل الاستلاب ويفقد القدرة على الابداع ويستقيل من كل مهمة في صناعة التاريخ والمساهمة في اثراء الثقافة الإنسانية))(٥٩).

فاللغة تعد بمثابة الترسانة الفكرية والثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها وتحافظ على شخصيتها، بل هي المقوم الأساس لبناء الأمة وقيامها - على اختلاف الآراء حول عوامل تكوين الأمم - لأنها لغة التواصل والاتصال

والصياغة لكل الافكار وتفعيل العوامل الأخرى، فضلا عن كونها المدخل الاخطر لبعثرة الأمة والعبث بتراثها وتاريخها وذاكرتها وعزلها عن تجاربها وماضيها وقيمها وشخصيتها الحضارية، ومحاولة تشكيلها من جديد في اطار معطيات لغة أخرى.. لذلك كان عزل اللغة والتهوين من شأنها من اخطر مداخل الغزو الفكري والارتهان الثقافي[٦٠]، ولهذا فان ((الحياة اللغوية بكل اشكال وظائفها وفعالياتها وتحولاتها واساليبها ضبطت وحدة الفكر والثقافة المجتمعية وحصنتها من التفكك والتبعثر والتشرذم والتغريب، وحافظت الأمم على خصائصها التاريخية الحضارية بفضل التي باتت البؤرة التي يتوهج منها نور الفكر المتجدد والمتولد عن مواريث الشعوب، وهنا تغدو اللغة المحفظة التي تندرج طحت طياتها قيم التراث))[٦١].

تبعا لما تقدم فان اللغة تشكل اهم مقومات " الارتكاز الحضاري " وان انتفاءها يعني انتفاء للحضارة المنتمية لها، فهي تؤدي دورا أساسيا وفاعلا في قضايا ارتقاء الحضارات أو صراعها وسقوطها..، إذ ((ما من حضارة إنسانية الا وصاحبتها نهضة لغوية وما من صراع بشري الا ويبطن في جوفه صراعا لغويا حتى قيل انه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية))[٦٢]، فنظرة تاريخية لمسار الحضارات قديمها وحديثها تكشف لنا ما تشكله اللغات من أثر في التنافس الحضاري وكيف ان اللغة تعد الدعامة الرئيسة لكل حضارة، وما من حضارة اندثرت أو ضاعت في متاهات الزمن الا وكان للغة الدور الاكبر في ذلك من حيث هي عنصر فاعل في تفوق حضارة ما على حضارة أخرى، أو كانت المقتل الذي صوبت نحوه سهام الحضارة الغالبة التي ادت إلى سقوط الحضارة الأخرى، تبعا لذلك فـ((ان عمر الإنسانية الحضاري مرتبط بعمر اللغة، وعمر اللغة مرتبط بعمر الإنسانية، انها ثنائية متعشقة ضمن (ميكانيزم) البناء الحضاري والمدني، وتأسيسا على

هذه الثنائية التجادلية يمكننا القول: ان اللغة سر الحضارة))[٦٣].

يقول الدكتور عبد السلام المسدي: ان سلاح الكونية الثقافية الغازية إنما هو اللغة، وان هدفها المبتغى، وقنصها الامثل، ومنالها الأخير، إنما هي اللغة، فباللغة تغزو لتكتسح قلعة الهوية الثقافية باختراق سورها المسيّج لها إلا اللغة... فالمعركة الحضارية المستشرية تدور الآن على واجهات متعددة متوالجة متناصرة، لا يغتفر فيها الخطأ الواحد ولا الخطأ البسيط، ان المعركة الحضارية صراع بين الثقافات، وتطاحن في الهويات، وتناحر على القناعات، ثم هي قبل ذلك كله، وبعد ذلك كله، تقاتل على مراكز النفوذ اللغوي بلا هوادة... كل الحروب اصبحت اذن ترتد إلى الحرب الثقافية، وكل الثقافة ترتد هي الأخرى إلى الوعي اللغوي طردا وعكسا. [٦٤]، فالصراع اللغوي - اذن - إنما يأتي على قمة الصراعات العالمية ان لم يكن اخطرها واقواها، والحضارات - كما يقول صامويل هنتنغتون - هي كيانات ثقافية وليست كيانات سياسية، أو هي الكيان الثقافي الاوسع الذي يضم الجماعات الثقافية مثل: القبائل والجماعات العرقية والدينية والامم، وفيها يعرف الناس انفسهم بالنسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات.... الخ، ومن هنا تحتل الفروقات الثقافية الأساس والمركز الاول في التصنيف بين البشر افرادا وجماعات[٦٥]، ولا ريب في ان ابرز هذه الفروقات الثقافية تأتي من اللغة.

ولذلك فالصراع الحضارات - يغدو - في مساره التاريخي صراعا لغويا، تنوب اللغة -كونها تجسيدا للهوية الحضارية - عن الحضارة في صراعها وتنافسها، أو في حوارها وتفاعلها..، ليستحيل - في النهاية - الانتصار أو الهزيمة انتصارا للغة أو هزيمة لها.. فالصراع اللغوي ليس معناه صراعا من اجل لغة بنظامها الصوتي أو بنيتها النحوية والصرفية، بقدر ما هو صراع افكار ورؤى تحيل على مرجعيات بسياقات متعددة فكرية ودينية واجتماعية

وثقافية...، اذن اشكالية الصراع الحضاري يبدأ من اللغة.

فكتب التاريخ تنقل لنا بعضا من تلك الصراعات اللغوية، فقد كان للحضارات المصرية القديمة تفوق لغوي امتد بامتداد هذه الحضارات، لينتقل بعد ذلك إلى السومرية والسريانية ثم الاغريقية واللاتينية، فسادت كل منها لغات عصرها وفرضت ثقافة اهلها على البلاد الأخرى؛ فالاغريق - مثلاً - حاولوا نشر لغتهم بفرضها على البلاد التي وصلوا اليها لكنهم لم يوفقوا في ذلك، بل تأثرت حضارة الاغريق الهيلينية بالعناصر الثقافية التي وجدتها في البلاد التي فتحها الاسكندر واصبحت تعرف بالحضارة "الهلنستية" اي الشبيهة بالهيلينية.(٦٦)

أما الرومان فقد حاولوا فرض لغتهم اللاتينية في البلاد التي فتحوها ولكن دون جدوى، وظلت اللاتينية لغة الرومان وحدهم يتكلمها الرومان في مدنهم ومعسكراتهم ولا يفهمها غيرهم، اما انتشارها بعد ذلك فكان نتيجة لانتشار المسيحية، فقد استعملت المسيحية في أول الأمر اللغة السريانية، وبها كتبت بعض الاناجيل الأولى، وكذلك اللغة الاغريقية التي كتبت بها بعض الاناجيل ورسائل بعض آباء الكنيسة، ثم استعمل دعاة الكنيسة وقساوستها واساقفتها اللاتينية في روما وما تبع كنيستها من بلاد وسط اوروبا وغربها، فانتشرت اللاتينية مع اتساع مدى المسيحية وكنائسها، ولكنها ظلت لغة دين وكتابة أدبية وكتابات رسمية دون ان تصبح لغة عامة شعبية، ثم اختلطت مع اللغات المحلية وظهرت اللغات الرومانية كالايطالية والبروفنسية ثم الفرنسية والاسبانية والبرتغالية(٦٧).

معنى ذلك ان الحضارة الرومانية قد حققت نصرا جزئيا في نشر لغتها اللاتينية، الا انه نصر لا يعدل انتصار اللغة العربية الساحق في البلاد التي وصل اليها الإسلام وما جاورها، ولم يكن ذلك نتيجة لسياسة وضعها العرب

لنشر لغتهم، بقدر ما كان الدافع الاكبر يتمثل في تعلم القرآن الكريم والتفقه في امور الدين الإسلامي، فقد جاء القرآن حاملا للبشر نص الرسالة الإلهية في آياته فلقيت هذه العقيدة القبول الواسع في كل مكان وصلت اليه، واتجه الذين آمنوا بها إلى قراءة القرآن فكان لابد ان يتعلموا العربية، ولما كانت العربية لغة كاملة، خرجت إلى الدنيا خارج الجزيرة مكتملة النمو بنحوها وصرفها وبلاغتها وكتابتها، فإنها استطاعت ان تتغلب على غيرها من اللغات لأنها لغة القرآن أولاً ثم بفضائلها الذاتية ثانيا، ومن ثم لأنها تمثل لغة الغالب، فاصبحت لغة الناس في العراق والشام ومصر والمغرب والاندلس، ولهذا فان العربية في العصر الاموي كادت تقضي على كل اللغات التي كان الناس يتكلمونها في ايران، الا ان الفتن التي قامت بين العرب في ايران، ثم قيام الدولة العباسية على اكتاف عرب خراسان، وانتقال معظم هؤلاء إلى العراق، جعل اعداد العرب الباقين في (اغيران) قليلة لا تكفي لاحداث نقلة نوعية في عملية التعريب الشامل، مما ادى إلى توقف التعريب في ايران، وعاد الناس إلى لغتهم الأولى وقبسوا من العربية حروفها، واخذوا من الفاظها واساليبها البلاغية وعروض شعرها، وعلى أساس هذا كله قامت اللغة الفارسية السارية إلى اليوم في ايران.؛ اما وضع العربية في المغرب، فانه لما ظل عرب مصر والمغرب والاندلس في هذه البلاد ولم يتجاوزوها، فان اللغة العربية صارت لغة اهل البلاد جميعا ومع ان لغات هذه المناطق قد تلاشت واندثرت امام اللغة العربية فان بعضها بقي صامدا، الا انها تأثرت إلى حد كبير بالالفاظ العربية [٦٨]، فمثلا اللغة الاسبانية اخذت من العربية ما جعل "الاب حان دي صوصة" يصنف "معجم الالفاظ الاسبانية البرتغالية المشتقة من اللغة العربية "، وقد حوى هذا المعجم حوالي ثمانية عشر الف كلمة مشتقة من اصل عربي، في اللغة الاسبانية.[٦٩]

ولم يكن تأثير اللغة العربية في اللغات التي احتكت بها في البلاد التي فتحتها والتي وصل اليها الإسلام فحسب، بل تعدى ذلك إلى اللغات التي جاورت هذه البلاد، لذا نرى ان الباحثين الاوروبيين قد اهتموا بدراسة الكلمات العربية الدخيلة في المعجمات، وتتبع تاريخ دخولها فيها، فالكاتب الفرنسي بيير جيرو اقر بتأثير اللغة العربية في الفرنسية وقدم قائمة من مأئتين وثمانين كلمة دخلت من العربية إلى الفرنسية في عصور مختلفة من التاريخ. وعني فريق آخر بدراسة هذه الكلمات العربية الدخيلة باظهار الوسائل والطرق التي دخلت من خلالها إلى فرنسا ولغتها مؤكدا على توثيق تلك المعلومات واسنادها بالدليل العلمي، وقد قدم قائمة حوت اكثر من ستمائة كلمة.(٧٠)

كما نجد ابحاثا أخرى ومقالات نشرت في هذا الصدد في غير فرنسا، ففي رومانيا مثلا نجد باحثين اكاديمين مثل نيوكولاي دوبر شان الذي قام بتتبع ودراسة الالفاظ العربية الاصل الدخيلة في اللغة الرومانية عبر التاريخ فقال في هذا المجال: ((دخلت عدة مئات من الالفاظ العربية اللغة الرومانية بواسطة لغات أخرى، وقد دخل معظم هذه الالفاظ - أي اكثر من ٤٠٠ مفردة - فضلا عن مئات أخرى من المشتقات فيها في اللغة الرومانية وفقا لقواعد اللغة التركيبية وفي بعض الحالات ساعدت لغات بلقانية أخرى مثل البلغارية والصربية في عملية انتقال هذه الالفاظ من العربية إلى الرومانية. ولا تزال تستخدم في اللغة الرومانية الأدبية المعاصرة ما يقارب مائة لفظة عربية الاصل بصورة عادية، فضلا عن المشتقات منها، كما دخل عدد اقل من الالفاظ بواسطة اللغات الرومانسية الاسبانية والايطالية وبخاصة الفرنسية، وفي الوقت الاخير بواسطة اللغة الانجليزية)).(٧١)

وقد يظن بعضهم ان اللغة الانجليزية كانت بعيدة عن تأثير العربية فيها

آنذاك لان الجزر البريطانية كانت بمنأى عن موجة الفتح العربي الإسلامي لجنوب اوروبا وحوض البحر المتوسط، ولكن الغزو العلمي العربي لم يترك مكانا في اوروبا دون ان يبلغه. ولذا وجد في الانجليزية قدر كبير من الكلمات ذات الاصول العربية يصل بها بعض الباحثين إلى بضع مئات، دخلت إلى الانجليزية مباشرة أو بالواسطة [٧٢].

ولما كانت عملية الصراع الحضاري قائمة على أساس التأثر والتأثير وخاصة في مجال اللغات، فان اللغة العربية مثلما اثرت في اللغات الأخرى، فإنها تأثرت هي ايضا، فقديما تأثرت العربية بما كان يجاورها من اللغات، وقد اورد السيوطي اسماء هذه اللغات المؤثرة التي دفعت بالفاظها إلى معجم العربية، وثمان لغات " الفارسية والرومية والنبطية والحبشية والبربرية والسريانية والقبطية"[٧٣].

الصراع اللغوي من التأثر والتأثير إلى الاستعمار الجديد:

واذا كانت عملية الصراع اللغوي بين الحضارات تتم - قديما- بصورة مقصودة وغير مقصودة أي انها تكون في الاعم الاغلب كجزء من حركة السيطرة والهيمنة والسعي نحو الانتشار الثقافي، فان هذا الصراع قد تحول ومنذ بداية الاستعمار الحديث إلى عملية ((فرض فكري متفرع عن الغزو السياسي وملازم له))[٧٤]، إذ اصبحت كل دولة تغزو دولة أخرى وتستعمرها تسعى لان تفرض لغتها بقدر ما تحاول محاربة اللغة الأخرى وتهميشها، فقد بذل الانكليز - مثلا - جهدا كبيرا في احلال اللغة الانجليزية محل اللغة الهندية ولغات شبه الجزيرة الهندية الأخرى، ووفقوا في ذلك إلى حد كبير، فجعلوا التعليم كله انكليزيا، حتى اللغات العربية والايرانية والسنسكريتية والاردو التي كانت تستعمل فيما دان للإسلام من بلاد شبه الجزيرة الهندية همشت ليحلو الجو للغة الانجليزية [٧٥]. وكان هذا حال كل الدول التي احتلها

الانكليز وفرضوا لغتهم، اما بالقوة واما بواسطة من استعملهم المحتل في تسيير امور البلاد، فمثلا صدر امر وزاري عام ١٨٨٩م في مصر اثناء الاحتلال البريطاني يقضي بان تكون لغة التعليم في المدارس المصرية هي اللغة الانجليزية، واغلقت مدرسة الالسن التي كانت تعنى بالترجمة وتخريج القائمين بها[٧٦]، ولم يكن العراق باحسن حالا من مصر إذ سعى الانكليز منذ دخولهم العراق إلى فرض لغتهم في مجال التعليم إذ كانت الكليات العلمية - فضلا عن الإنسانية-ككلية الحقوق- تدرس اللغة الانجليزية.[٧٧] وما يقال عن الانكليز في فرض لغتهم في البلاد التي غزوها، يقال عن الفرنسيين والالمان والهولنديين والايطاليين.... وغيرهم.

**الصراع اللغوي في عصر العولمة:**

وإذا كانت المرحلة السابقة قد اتصفت بالتفاعلات أو الصراعات ذات التوجه العالمي الذي يقوم على أساس السباق الحضاري باوجهه المتعددة عسكريا وسياسيا وثقافيا ولغويا وبأهدافه المتمثلة بالتوسع والانتشار سواء اتخذ وسيلة الهيمنة واخضاع الآخر، أو كان اسلوب الحوار والتبادل والتفاعل هو وسيلته في الانتشار، فان البشرية في مرحلتها الراهنة تدخل عصرا جديدا يختلف اختلافا جذريا عما كانت عليه في الماضي، إذ ان ما تطرحه العولمة - اليوم- يجعل مسألة الصراع الحضاري خاضعا لمبدأ" الاحادية" التي تتفرد بالهيمنة على العالم كله ولا تقبل صراعا على أساس "الندية"، بل تسعى إلى اعادة تشكيل العالم وفق الأنموذج الاميركي الذي يعكس ممارسات القطب الاوحد بهويته ومرجعيته، محاولا فرض استراتيجية تقوم على محو الآخر والغائه ومحاربة مقوماته الحضارية وطمسها ليستحيل العالم إلى دائرة مغلقة يتم من خلالها احتواء لعقل الإنسان وارادته وتفكيك بنيته الثقافية وانظمته الفكرية لصالح حضارة واحدة هي حضارة الاقوى بتجلياتها المتعددة

ثقافيا وسياسيا واقتصاديا واعلاميا ولغويا، وكأن العولمة في طروحاتها تلك قد آمنت بمقولة لـ"اينشتاين"((العالم إما كل واحد وإما لا شيء))[٧٨]، فالعولمة - وهي تسعى لتعميم نمطها الاستهلاكي- تحاول ان تنظر إلى شعوب العالم من ((منظور الجنس البشري بصورة تتجاوز النسبية الثقافية سواء العقائدية أو القيمية أو اللغوية))[٧٩].

ولما كانت العولمة تهدف إلى((تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله))، فإنها في مسألة اللغة تسعى إلى تغليب لغة على حساب لغات أخرى بدعوى التواصل بين شعوب العالم وبناء جسور التقارب والتفاهم والاندماج من خلال لغة عالمية واحدة، لاسيما وان عصر العولمة هو عصر تتساقط فيه الحواجز اللغوية والحدود الاقليمية.. وتغدو شفافية التواصل هي السائدة في التفاعلات الحياتية، الا ان السياقات التاريخية قد اثبتت صعوبة بل استحالة ذلك الحلم القديم الذي راود البشرية منذ امد بعيد في عالم واحد يتكلم لغة واحدة، ويتواصل البشر خلالها؛ فما ورد عن "لغة اهل بابل" التي كان ينطق بها اهل الأرض جميعاً - كما جاء ذلك في التوراة - [٨٠]، وما جهود علماء القرن التاسع عشر في وضع " لغات اصطناعية "[٨١] تتميز بسهولة قواعدها واطرادها، ثم المحاولات التي يبذلها علم اللغة الحديث منذ نشأته بالبحث عن " نحو " عام تندرج في اطاره جميع لغات البشر، الا خطوات تظهر مدى تشوق البشرية إلى وحدة اللغة وحنينها الشديد إلى التواصل والتقارب، غير انها جهود لم تثمر عن نتيجة في مجال توحيد اللغات، أو تغليب لغة تكون هي لغة العالم، ذلك ان اللغة ليست آلة للتواصل والتقارب فحسب، بقدر ما هي ارث حضاري وهوية وتاريخ يمتد لآلاف السنين، وان التنازل عن اللغة يعني تنازلا عن الهوية والانتماء، والتخلي عن الخصوصيات الثقافية، هذا اذا ما وضعنا تلك الجهود لتوحيد اللغات، في اطار المحاولات الرامية إلى تقارب

البشر وتواصلهم لصالح الإنسانية واسعادها، فكيف اذا علمنا ان جهود العولمة في ذلك إنما تقوم أساساً بغليب لغة تعكس سياسة التسلط والهيمنة التي تكون على حساب خصوصيات البشر وثقافاتهم؟!!

ان العولمة اللغوية - في توجهها - إنما تتجاهل التنوعات الحاصلة بين التجمعات الإنسانية وذلك بمحاولاتها اذابة الحواجز الثقافية واختراقها عبر لغة تواصلية تنزع نحو الانتشار والتوسع، ما يعني ان المشهد اللغوي في العالم اليوم- وبفعل العولمة - يتجه نحو تهميش لغات العالم وطمسها لصالح لغة واحدة متسيدة يتجلى عبرها ((شيوع القيم والممارسات الغربية بمصطلحاتها الاصلية ومفاهيمها الاميركية الانجليزية وتأثيرها في اعادة تشيكل تصورات الناس لقيمهم الثقافية وممارساتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية وفي اعادة تصنيف ممارساتهم وعلاقاتهم وتوجيه طريقة تفكيرهم فضلا عن ارتباط هذه المصطلحات والمفاهيم بالتراث الغربي المسيحي والعلماني))[٨٢].

يقول محمود امين العالم: ((اخذت العولمة السائدة تفضي بالضرورة إلى سيادة لغة من لغات هذه الدول المهيمنة في العلاقات التجارية والاقتصادية وما يستتبع ذلك من سيادة ثقافتها وقيمها الخاصة. ان معنى ذلك هو تهميش اللغات والثقافات القومية، واحتواؤها، واستتباعها، كمدخل لاستتباعها اقتصاديا وثقافيا))[٨٣].

إن عملية الهيمنة اللغوية التي تقدم عليها العولمة، وما يستتبع ذلك من تغلل في النسيج الثقافي والبنية الحضارية، إنما يؤدي بالضرورة إلى تصدع في جدار الأمة وحضارتها، ومن ثم يكون مؤشرا من مؤشرات تحطم مقومات الذات وطمس هويتها، مما ينذر بأسباب سقوط الأمم واندثار تاريخها؛ فالتنازل عن اللغة الأم والتخلي عن ارثها التاريخي الممتد عبر حقبة زمنية تمثل الفضاء الحضاري لهذه اللغة، إنما هو حكم على تلك اللغة والثقافة المنتمية لها بالموت،

وهو ما تقدم عليه بعض الشعوب رغبة منها - كما تظن - في اللحاق بالتقدم الحضاري الذي اقتنعت به - زيفاً - انه يتم عن طريق التنازل عن القيم والممارسات التي تمثل شخصانية الأمة وتميزها عن بقية الأمم، ولهذا لم يبتعد الدكتور عبد السلام المسدي عن الصواب حين عنوَن كتابه بـ(العرب والانتحار اللغوي)، حيث ان ما تقدم عليه الشعوب من تنازل مخيف عن لغاتها إنما هو - فعلاً - انتحار لغوي يودي بالسقوط والانهيار.

**مستقبل اللغات ازاء تحديات العولمة:**

تعد قضية اندثار اللغات وزوالها من القضايا المعروفة في تاريخ الحضارات فكم من لغة كانت ذات نفوذ وانتشار غدت لا تذكر الا في سجلات التاريخ، فكلنا يقرأ عن لغات الحضارات القديمة التي اكتسحت الأرض وكان لها حضور واسع في مساحات متعددة من الحياة الا انها سارت عليها أسباب سقوط اللغات واندثارها فاستحالت إلى لغات للدراسة والبحث ووسيلة لمعرفة الحضارات والامم السابقة، وهذا ما ينطبق على اللغات السنسكريتية والفرعونية ولغات وادي الرافدين: السومرية والآشورية والبابلية والأكدية، كذلك اللغة الآرامية واللغة اللاتينية وغيرها من اللغات التي تمثل تاريخ البشرية بامتدادها الزماني والمكاني.

هذا ما كان في الحضارات والامم السابقة فكيف ونحن نعيش عصرا غدت فيه المسافات متقاربة والحدود متلاشية واستحال العالم كله عبارة عن قرية كونية يتم التواصل فيها بسرعة الضوء؛ ان المشهد اللغوي في العالم اليوم - وبفعل العولمة وتجلياتها - ازاء موقف خطير تجاه اللغات من حيث بقاؤها واندثارها، انه مشهد يتجه نحو تهميش لغات العالم وطمسها واسلبة وجودها لصالح لغة واحدة متسيدة متمثلة في اللغة الانجليزية الامريكية التي((تهيئ نفسها بوضوح لكي تكون لغة " القوة بجوانبها المختلفة " لمليارات من البشر لم

تكن يوما ما لغة آبائهم وامهاتهم. ولكون اللغة الانجليزية تستند إلى تجربة متصلة منذ ايام الهيمنة البريطانية إلى ايام الهيمنة الامريكية فإنها تتمتع بموقع قوة هائل يمكن ان يؤهلها في المستقبل لأن تكون لغة عامة معتمدة( lingua franca) كما كانت اللغة اللاتينية في الماضي، والى حد ما اللغة العربية في العصور الوسطى))[٨٤]، ولكن هذه المرة بصورة اخطر إذ انها تعتمد آليات العولمة وتقنياتها، كما تتيح أهدافها ومضامينها التي ترمي إلى السيطرة على العالم وفرض نمط معين بما فيه اللغة الانجليزية، الأمر الذي يعني تهميش ما عداها من اللغات، إذ تشير الدراسات الحديثة التي تناولت حاضر اللغات ان اللغة الانجليزية اصبحت لغة الاتصال العالمية الأولى بين البشر، إذ غدت اللغة الأولى عند بعض الدول وعند بعضها الآخر اللغة الثانية بعد اللغة الام مكتسحة جوانب الحياة كافة.

جاء في كتاب"مستقبل اللغة الانجليزية" إحصاء قام به المجلس البريطاني عام ١٩٩٥: ان خمس سكان العالم يتكلمون الانجليزية بدرجة ما وان الحاجة من الباقين لتعلمها في ازدياد مستمر وبحلول عام ٢٠٠٠ سيكون هناك بليون شخص يتعلمون الانجليزية، وستصبح اللغة الانجليزية هي اللغة الرئيسة لكثير من القطاعات التقنية وغيرها.[٨٥]

وقد اوردت بعض الدراسات المعاصرة معلومات استقرائية تؤكد استفحال وتعاظم دور اللغة الانجليزية عالميا وانها اضحت لغة الاتصال العالمي بين الشعوب؛ ومن هذه المعلومات المتفق عليها بين الدارسين: إن اللغة الانجليزية:

- اوسع لغات العالم انتشارا على مستوى التكلم والكتابة، وانها اللغة الام الثانية في العالم بعد الصينية " لغة ماندارين"، واللغة الاجنبية الأولى لغير الناطقين بالانجليزية.

- اللغة الرسمية لاربع وكالات انباء عالمية متفوقة، وهي اسوسايتد برس ويونايتد برس وانترناشنال الامريكية ورويتر البريطانية.
- اللغة الرسمية للمسيحية ممثلة في مجلس كنائسي العالمي.
- اللغة شبه الرسمية للحاسوب والمعلوماتية، فقد اظهرت دراسة اجرتها احدى المؤسسات الالمانية ان ٧٧٪ من صفحات الانترنت باللغة الانجليزية بينما لا تتمتع باقي لغات العالم مجتمعة الا بـ ٢٣٪ من صفحات الاتنرنت، وقد جاءت هذه الدراسة بعد فحص أكثر من مليار صفحة الكترونية على الشبكة في حين جاءت اللغة اليابانية في المركز الثاني تليها اللغة الالمانية
- اللغة الرسمية للبريد في العالم اضافة إلى انها تمثل ٧٥٪ من لغة التلكس والفاكس والكابلات
- و٨٥٪ من المكالمات الهاتفية الدولية تتم بالانجليزية.
- اللغة الرسمية العالمية للرياضة " اولمبيك " والاتحادات الرياضية العالمية والمسابقات الكبرى
- اللغة الرسمية العالمية للطيران وما يتصل به مدنيا وعسكريا.
- اللغة الفعلية لـ ٥٠٪ من الاعمال التجارية والمبادلات الدولية.
- اللغة الفعلية لـ ٥٠٪ من الدوريات العلمية والتقنية المعترف بها عالميا.
- اللغة الأساسية الفعلية في جميع المؤتمرات الدولية على اختلاف موضوعاتها وعلى امتداد القارات.
- اللغة الأساسية الفعلية لهيئة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

♦ اللغة المفضلة لطالبي العلم وللدراسات العليا والبحث العلمي لمعظم انحاء العالم.

وهذه كلها تقديرات مخفضة وربما كان واقع الانجليزية اقوى مما ورد في هذا الاستقراء.(٨٦)

إن اللغات - ازاء هذا التفوق للغة الانجليزية - تواجه تحديا لغويا نوعيا لم يسبق له مثيل في المراحل التاريخية السابقة، انه تحد يقوم على صعود لغة عالمية هي الانجليزية الدولية(international) inglish (٨٧) التي تقوم بعملية غزو لغوي كبرى تسعى من خلاله إلى محاصرة اللغات والتضييق عليها ومحاولة التغلغل إلى عمقها وتفكيك نسيجها اللغوي وتمزيقه وبعثرة ابنيتها التركيبية وانظمتها الصوتية وخلخلة دلالاتها المعجمية، وصولا إلى تمكين الانجليزية مكان هذه اللغات، ومن ثم خلق فجوة لغوية بين تلك اللغات وشعوبها، الأمر الذي يؤدي إلى قطع اواصر الاتصال، ومن ثم انعدام مقومات البقاء والوجود لتلك اللغات ومن ثم موتها واندثارها.

فقد اشارت بعض الدراسات اللغوية المعاصرة ان عشر لغات تندثر سنويا من هذا العالم من بين ٦٠٠٠ لغة نصفها على الاقل يواجه الخطر(٨٨)، إذ اكدت بعض الأبحاث ان اكثر من (٢٥٠٠) لغة مهددة بالاختفاء على المدى القصير، كما اوضح احد الخبراء ان (٢٣٤) لغة اصلية معاصرة اختفت كليا محذرين من ان (٩٠٪) من اللغات في العالم سوف تختفي في

القرن الواحد والعشرين(٨٩). وقد توقع آندرود الياي في كتابه " اللغة في خطر: التنوع اللغوي وتهديده لمستقبلنا " ان يشهد القرن الحادي والعشرون اختفاء خمسة آلاف لغة يجري استخدامها حاليا تحدثا وكتابة نتيجة الانتشار غير المحدود للغة الانجليزية واندفاع الناس في المجتمعات المختلفة إلى استخدامها

بديلاً من لغاتهم الوطنية[٩٠]، كما اشار الباحث الروسي الكسندر كيبريك إلى ان ١٣٠ لغة في روسيا قد اخذت طريقها نحو الانقراض بما يكاد يكون نهائيا[٩١].

في حين افادت دراسة أخرى ان في بداية القرن العشرين كان هناك اكثر من خمسة عشر الف لغة حية على وجه الكرة الأرضية تقلصت بالتدريج حتى وصلت إلى ما يقارب (٥٠٠) لغة، ويقال ان (٣٠٠) لغة تعد في قائمة الخطر، ويتوقع ان تستخدم البشرية في القرن الحادي والعشرين (١٢) لغة فقط، ويرى بعضهم ان اللغات ذات الانتشار سوف تكون في حدود ست لغات[٩٢]، بل ان بعضهم رأى ان اللغات التي ستكون ذات تأثير عالمي وحضور واسع الانتشار هي اربع لغات فقط، وهو ما اعلنه الاسباني كاميلو جوزي "الحاصل على جائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٨٩م" إذ رأى ان اغلب اللغات ستنسحب من ساحة التعامل الكوني وستتقلص في احجام محلية ضيقة ولن يبقى من لغات البشرية الا اربع لغات قادرة على الحضور العالمي وعلى التداول الإنساني: الانجليزية والاسبانية والعربية والصينية[٩٣]، وهو نفسه ما توصل اليه اغلب الخبراء في مجال اللغات، إذ توقعوا ان تكون اللغة الانجليزية على رأس اللغات الحية وعللوا ذلك بسبب انتشارها غير المحدود إذ انها عدت لغة المال والتجارة العالمية والاقتصاد المفتوح كما انها لغة السياسة والاعلام والاتصالات[٩٤]، بعبارة أخرى هي لغة العولمة بانتشارها وهيمنتها، ثم تأتي اللغة الصينية لغة عالمية ثانية بعد الانجليزية لكونها لغة العدد الاكبر في العالم ثم بسبب طبيعة الصينيين الذين يوصفون بأنهم من اشد الأمم تمسكا واعتزازا بتقاليدهم وثقافتهم، تحل الاسبانية في المرتبة الثالثة للغات التي سوف تبقى حية وذلك راجع إلى انها تشكل لغة المساحة الواسعة، إذ ان قارتي امريكا الوسطى والجنوبية فضلا عن قسم من اوروبا تتحدث باللغة الاسبانية، اما

اللغة العربية فإنها تأتي في المرتبة الرابعة للغات التي ستكون بمأمن من الاندثار بسبب نفوذها الحضاري الواسع وانتشارها المتزايد بتزايد اعداد الداخلين إلى الإسلام في مساحات واسعة من العالم فضلا عن كونها اقدم لغة استطاعت الصمود امام عاديات الزمن وتبدل الدول واختلاف الحضارت.

أما اللغات الاوروبية الحية التي لها حضور واسع الانتشار في اوروبا كمثل الفرنسية والالمانية والروسية.....، فان الخبراء توقعوا انحسارها مع اشارة إلى فرصة محدودة امام تلك اللغات للبقاء على قيد الحياة محصورة في اطر مجتمعاتها الاصلية فقط. (٩٥)

وقد عقدت الأمم المتحدة مؤتمرا حول البيئة في نيروبي في الخامس من فبراير/شباط ٢٠٠١م، شارك فيه سبعون وزيرا للبيئة من القارات الخمس تضمن قضية اندثار اللغات وتقلصها وخطورة ذلك على البيئة والثقافات العالمية، إذ تبنى هذا المؤتمر في يوم انعقاده الرابع خطة للدفاع عن الثقافات واللغات المحلية التي تمثل احدى الاولويات لحماية البيئة، وعدت الدراسة المقدمة إلى المؤتمر والتي اعدها فريق من خبراء الأمم المتحدة للبيئة ان ((اسرار الطبيعة التي تتضمنها الاغاني والقصص والفن والصناعات الحرفية لدى الشعوب الاصلية قد تختفي إلى الابد بسبب ظاهرة العولمة المتصاعدة في جميع المجالات)). (٩٦)

وحذر المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة " كلاوس توبفر" من ان تحرير الاسواق في العالم الذي هو مفتاح التنمية الاقتصادية في الدول الغنية والفقيرة قد يتم على حساب آلاف الثقافات والتقاليد المحلية واللغات المنتشرة على بقاع الكرة الأرضية، إذ اشار برنامج الأمم المتحدة للبيئة ان حوالي " ٣٢٪ " من اللغات المحلية في العالم توجد في آسيا و " ٣٠٪ " في افريقيا، و " ١٩٪ " في منطقة المحيط الهادي، و١٥٪ في القارة الامريكية، و ٣٪ في اوروبا؛ وتأتي

غينيا الجديدة على رأس الدول التي تنتشر فيها اللغات المحلية؛ إذ توجد فيها (٨٤٧) لغة، وتليها اندونيسيا بحو (٦٥٥) لغة، ثم نيجيريا (٣٧٦) لغة، والهند (٣٠٩) لغة، واستراليا (٢٦١) لغة، ثم المكسيك (٢٣٠) لغة، والكاميرون (٢٠١) لغة، والبرازيل (١٨٥) لغة، والكونغو الديمقراطية (١٥٨) لغة، والفلبين (١٥٣) لغة[٩٧].

ان هذه اللغات المتعددة والمنتشرة على بقاع واسعة من العالم إنما هي ثروة لغوية لايستهان بقيمتها واهميتها، فعلى الرغم من انها تمثل ارثا حضاريا وثقافيا للامم والشعوب بامتدادها التاريخي والجغرافي، فان بعضها يشكل تميّزا لغويا ما يجعلها لغة تنفرد بخصائص تركيبية وصوتية نادرة قلما توجد في لغات أخرى، وقد حذر كثير من الباحثين مدى الخسائر الفادحة التي ستمنى بها البشرية نتيجة اندثار مثل هذه اللغات التي تشكلت على مدى آلاف السنين والتي لن يكون بالامكان تعويضها، فقد ذكر العالم اللغوي " مارك أبلي " أنموذجا لبعض تلك اللغات منها اللغة الشركسية احدى اغنى اللغات القوقازية الحية التي تضم ثمانية واربعين صوتا من الصوامت وصوتين معتلين فقط مما جعلها لغة فريدة ونادرة استقطبت اهتمام علماء اللغويات في تعاملهم مع المكونات الصوتية للغات[٩٨].

## موقف الدول والمجتمعات الإنسانية من عولمة اللغة الانجليزية:

تباينت مواقف الدول بحكوماتها وشعوبها تجاه استفحال ظاهرة عولمة اللغة الانجليزية التي غدت تشكل تهديدا استراتيجيا للهوية الحضارية لكل الأمم وبلا استثناء، إذ ان اللغات اضحت امام واقع مصيري فأما ان تقاوم وتستجلب أسباب البقاء والصمود وتكون في منافسة نوعية، واما ان تستسلم وتنهزم وتحكم على مستقبلها بالفشل والموت والانعدام، لذلك فان العالم اليوم يحاول ان يقاوم التسرب اللغوي الخارجي ويصنع لنفسه (امنا لغويا)،

وان يضع حدا لتغلغل اللغة الانجليزية إلى داخل مجتمعاته وذلك عبر وسائل متعددة واساليب مختلفة، منها سن القوانين والتشريعات، ومنها محاولة ايجاد تحالفات بين الدول التي تعتمد لغات من اصل مشترك، أو السعي نحو اقامة المؤتمرات والمنتديات عبر المنظمات والمؤسسات العلمية والثقافية، إذ ((تحاول كل لغة ان تتبنى لنفسها سياسات مواجهة خاصة مرتبطة... بالموقف القومي والديني والتاريخي والجغراسياسي (الجيوبوليتيكي) والعلمي والاقتصادي - التجاري والعسكري)). [٩٩]

ففي فرنسا التي تعد من الأمم التي تحرص على المحافظة على لغتها ورغبتها الشديدة لنشرها بين الناس سعيا منها لتحصين هويتها وثقافتها، إذ اتضح تخوفهم من زوال لغتهم في اثناء مفاوضات الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) في اواسط العقد التاسع من القرن العشرين، فمن قبيل درء الاخطار التي تتهدد الصناعات المحلية وسيادة اللغة الفرنسية، اصر الفرنسيون على حصص محددة لفرنسا تحسب على أساس من المنتجات الثقافية الاميركية مثل الافلام السنمائية والبرامج التلفزيونية التي تعرض باللغة الانجليزية[١٠٠]، وفي عام ١٩٩٢م اصدرت فرنسا قانونا باسم " لزوم الفرنسية " يحظر على الفرنسيين ان يستخدموا اية لغة اجنبية في خطابهم العام، مشيرا إلى الوثائق والمستندات والاعلانات كافة المسموعة منها والمرئية، فضلا عن الافلام الدعائية التي تبث عبر الاذاعة والتلفزيون والمجلات التجارية والشركات العاملة على الأرض الفرنسية.. ونص القانون على عقوبة مغلظة هي غرامة تصل إلى الفي دولار، والسند في ذلك كما تقول ديباجة القانون: ان اللغة الفرنسية فيها من الالفاظ والمعاني ما يغني عن استخدام لغات اجنبية في الخطاب العام[١٠١].

ومما يذكر - في جانب مشابه لإصدار مثل هذا القانون - انه في ملتقى حول ((الانجليزية بين اليوم والغد)) الذي أقيم في جامعة سترامسبورغ، طلب

من المشاركين تقديم مداخلاتهم للجنة التنظيم مترجمة باللغة الفرنسية[١٠٢].

ويعد موقف اليابان من لغتها اليابانية أنموذجا للنضال ضد هيمنة القطب الأوحد والمتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية وعولمتها، فبالرغم من كل انجازاتها في مجال صناعة العتاد والاتصالات والالكترونيات المكروية، فقد ايقنت اليابان ان مصيرها في عصر المعلومات عموما والأنترنت بصفة خاصة رهن بمصير اللغة اليابانية، إذ توالى جهود اليابان لتأمين موقع حصين لها على الخريطة الجيو-لغوية، وكانت البداية في مشروع الجيل الخامس الذي أطلقته اليابان في بداية الثمانينات بمنزلة رد فعل تكنولوجي، بهدف كسر هيمنة اللغة الانجليزية، الا أن هذا المشروع قد توقف لأسباب عدة على رأسها ما تعرضت له اليابان بشأنه من ضغوط أمريكية تكنولوجية واقتصادية وسياسية، ولم تتوقف جهود اليابان في الذود عن"اليابانية"، فراحوا يركزون على تكنولوجيا الترجمة الآلية من جانب ومن جانب آخر نراهم - حالياً - يستغلون تفوقهم التكنولوجي في مجال المعلوماتية من أجل انتزاع الزعامة اللغوية لتكتل الدول غير الناطقة بالانجليزية. [١٠٣]

وللقلق الذي انتاب الصين من الانتشار الواسع للغة الانجليزية في بلادهم من خلال الافلام الامريكية التي يحرص الشباب على متابعتها ثم التأثر بها فقد أصدرت قانونا أمام الخطر الذي يتهدد اللغة الصينية ويلزم القانون الذي بدأ العمل به اعتبارا من مطلع شهر يناير ٢٠٠١ وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة بضرورة الالتزام بالاسس المتعارف عليها في اللغة الصينية المعتمدة على الكتابة المبسطة في الصينية الام بعيدا عن الكتابة المعقدة المتبعة في المستعمرة البريطانية السابقة هونغ كونغ[١٠٤].

أما الالمان الذين يعدون من اكثر الناس اعتزازا بلغتهم فقد كان لهم نصيب من هذا القلق المتزايد حيث اتسع في المانيا نطاق المناداة بسن قوانين لحماية

اللغة الالمانية من تأثير اللغات الأخرى وعلى رأسها اللغة الانجليزية التي يعتقد اللغويون الالمان ان مصطلحاتها بدأت تشكل خطورة على سلامة لغتهم ويرغبون ان تحذو ألمانيا حذو فرنسا في هذا المجال بسن تشريعات تمنع استخدام المصطلحات الاجنبية في الاعلانات والرسائل الاعلامية؛ ويعترف وزير الثقافة الالماني بوجود المشكلة لكنه يرفض فكرة سن قوانين قد تؤدي إلى استحداث (شرطة اللغة) لان هذا سيكون فيه نوع من القسوة غير المسبوقة، ويتفق مع رأي الوزير عدد من اللغويين الالمان غير انهم يؤكدون ضرورة اتخاذ اجراء ما لحماية اللغة التي يعدّونها اغلى ما تملكه أي امة للحفاظ على وجودها(١٠٥).

هذا على مستوى الدولة الواحدة من حيث تشريعاتها وسنها للقوانين التي تحافظ من خلالها على لغتها وارثها الحضاري، أما على نطاق التحالفات والتكتلات التي تجمع أكثر من دولة للتصدي لظاهرة العولمة، فقد كانت ظاهرة التكتل الإقليمي وخصوصا في اوروبا التي تشهد حاليا توجهين متناقضين احدهما يقوم على أساس التنوع اللغوي، والآخر يميل إلى الانغلاق في اطار التوحد اللغوي؛ فبينما تعد كتلة الوحدة الاوروبية التنوع اللغوي لدولها (١٧) لغة مصدرا لقوتها الاستراتيجية في مواجهة القطب الامريكي المتشبث باحاديته اللغوية؛ تسعى المانيا إلى اقامة حلف لغوي الماني يجمع بينها وبين النمسا وسويسرا. ولمجموعة الدول الاسكندنافية مشاريع مشابهة للتكتل اللغوي؛ وعلى مستوى ما فوق الاقليمي يسود الساحة السياسية العالمية - حاليا- نشاط متزايد لاحياء التحالفات اللغوية مثل " الانجلو فونية " و"والفرانكفورنية" و"الاسبانوفية"(١٠٦)، إذ عدت الأخيرة منظمة سياسية تستقطب الدول الناطقة بالفرنسية ويعمل على ربط هذه الدول من كمبوديا حتى كندا باللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية وما ينبثق عن هذه المنظمة من مؤسسات تعمل جميعها في خدمة هذه اللغة والثقافة بها(١٠٧).

وقد دعا جاك شيراك - الرئيس الفرنسي السابق - إلى اقامة " تحالف " بين الدول التي تعتمد لغات من اصل لاتيني للتصدي بشكل افضل لهيمنة اللغة الانجليزية وذلك لدى افتتاحه منتدى حول " تحديات العولمة "، وقال شيراك لدى افتتاحه منتدى في جامعة السوربون جمع الناطقين بالفرنسية والاسبانية والبرتغالية انه ((في مواجهة قوة نظام مهيمن يحق للآخرين حشد القوى لارساء المساواة في الفرص وسماع اصواتهم))، ودعا الناطقين بالايطالية من الاتحاد اللاتيني إلى الانظمام إلى منظمة الفرانكفورية ومجموعة الدول الناطقة بالبرتغالية والمنظمتين الناطقتين بالاسبانية للدول الامريكية - الايبرية والقمة الايبرية - الامريكية، ودعا شيراك إلى القيام بتحرك في الأمم المتحدة بالاتفاق بين المنظمات الخمس لاقامة "مشاريع مشتركة" لما دافع عن مبدأ "تعددية اللغات في المجتمع الدولي" ودعا شركاءه إلى "الاستثمار بقوة في شبكات المعلومات" مقترحا إنشاء موقع للثقافات اللاتينية على الانترنت، وأعرب أخيراً عن أمله في ان تعترف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "يونسكو"رسميا بـ((حق التعددية الثقافية)) من خلال اصدار " إعلان عالمي يكون بمثابة ميثاق تأسيسي"[١٠٨].

هذا فضلا عن الحملات الدعائية التي اقامتها دول العالم من اجل اثارة الشعور القومي نحو الاعتزاز باللغة، وجعلها حاضرة في اذهان الناس، ومن امثلة تلك الحملات الدعائية حملة وكالة اللغة الايرلندية التي نفذت مبكرا في سنة ١٩٧٨ تحت شعار (لغتنا جزء من كياننا)، وشملت الدعاية الصحافة والاذاعة والتلفزة ولوحات الاعلانات، وكلفت اموالا ضخمة، وكذلك الحملة التي تقوم بها الحكومة الاندونيسية في شهر اكتوبر من كل عام بوصفه شهر اللغة القومية، والحملة الدعائية التي قامت بها حكومة سنغافورة للترويج للغة الماندرين وهي اللغة الصينية لبكين وغير ذلك[١٠٩].

وقد أعلنت منظمة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة عن برنامج سمته (اللغة الأم) واتخذت له يوما عالميا هو ٢١ شباط/فبراير من كل عام، وكان ذلك في إطار إعلان سنة ٢٠٠٠ السنة الدولية لثقافة السلام، وقد حددت اليونسكو هدفها من كل ذلك وهو حماية ٦٠٠٠ لغة إنسانية من الاندثار، وبتلك المناسبة شرح المدير العام للمنظمة يومئذ كويشيروافشل القرن العشرون في الحد من تسلط القوة على الثقافة الإنسانية بما اصبح يهدد خصوصياتها المتنوعة حتى اللغوية منها، وهكذا بعثت اليونسكو لجنة استشارية للتعددية اللغوية، تكونت من ١٢ خبيراً، عقدت أول اجتماع لها في مطلع شهر آب / اغسطس ٢٠٠٠[١١٠].

إن هذه الامثلة وغيرها تدل دلالة واضحة على وجود مشكلة لغوية تواجه لغات العالم بلا استثناء وبخاصة اللغات التي هي خارج اطار المجموعة الناطقة باللغة الانجليزية التي تعاني من مشكلة نوعية مختلفة، وهي مشكلة التجاوب الفوري الذاتي والداخلي مع السيل الدافق للمخترعات والافكار الجديدة والاكتشافات والمغامرات المعرفية والتقانية، وكذلك مع مستلزمات المرونة القصوى في لغة السلطة والقوة اللغة الانجليزية[١١١].

هذا بالنسبة لمواقف الدول والمجتمعات الإنسانية العالمية في الدفاع عن لغاتهم ومواجهة تحديات العولمة اللغوية، سواء على مستوى الدول أو على مستوى الأفراد والمنظمات العالمية غير العربية، الا ان السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا عن اللغة العربية والناطقين بها، وهل اعدوا عدتهم في مواجهة التحديات المحدقة بلغتهم حالهم كحال الشعوب التي احست بالمخاطر العولمية، أم أنهم اكتفوا بالشعارات والهتافات الفارغة التي تمجد اللغة العربية من دون العمل الجاد للدفاع عنها والذود عن حياضها واقامة المتاريس لحمايتها من شظايا عولمة اللغة الانجليزية؟!!!!

**اللغة العربية في مواجهة تحديات العولمة:**

إذا كانت اللغة العربية استطاعت ان تواجه التحديات اللغوية القديمة في عصر الفتوحات الكبرى بقوة ونجاح كبيرين، فان اللحظة الراهنة التي تحمل في طياتها التحديات الكبيرة والعظيمة التي تواجهها اغلب اللغات العالمية وبخاصة اللغة العربية، تختلف اختلافا جذريا عما كان في العصور الماضية، فالتحديات الحالية تكاد تفوق في خطورتها وتسارعها تلك التحديات التاريخية التي واجهت اللغة العربية، ((ففي تلك الايام المستبشرة كانت هناك ثلاث مستندات مكينة تدعم اللغة العربية في مواجهة لغات الحضارة القائمة في القرن السادس الميلادي (الفارسية واللاتينية واليونانية)، وهذه المستندات هي:

١- المستند الديني الذي كان مفاجأة العالم القديم في ذلك الحين (القرآن والاشعاع الإسلامي والهداية التاريخية)، وهذا مستند مستمر ومعين لا ينضب، ولكن ظرفه التاريخي مختلف اليوم

٢- المستند السلطوي، حالة الغلبة والانتصار والقوة، أي ان اللغة العربية كانت لغة الغالب وليست لغة المغلوب كما هي الحال اليوم.

٣- المستند المعنوي، وهو حصيلة المستندين السابقين، إذ كانت اللغة العربية تواجه التحديات بطاقة هائلة من الثقة بالنفس والعزم والاعتدال، مقابل روح الانهزام والتبرؤ والتأجنب التي لا يمكن إنكار وجودها اليوم.

ان اللغة العربية تواجه عصرا حضاريا جديدا ومنافسة مصيرية نوعية ليس لها مثيل فيما مضى،.... حيث ان الإنسانية تدخل عصر المعلوماتية والحاسوبية وغزو الفضاء والسبرانية (التحكم الآلي) والثورة الاتصالية والتفجر التقاني/التكنولوجي الفائق، أو مكا اصبح يسمى الموجة الثالثة من

موجات الحضارة الإنسانية بعد الثورة الزراعية القديمة والثورة الصناعية الراهنة))[١١٢].

وإذا كانت هذه المستندات الثلاثة هي ما جعلت العربي قديما يطمئن على لغته، ما كون ثقة كبيرة بلغته وبرصيدها الذي جعلها على مر العصور لغة قادرة على مواجهة التحديات الكبيرة والخطيرة، بما تتميز به هذه اللغة من مميزات داخلية وخارجية، فان هذا لا يعطي مبررا لنا - نحن العرب في القرن الواحد والعشرين - لان نترك لغتنا تتهاواها الريح وتتقاذفتها الامواج، وكأننا مؤمنون بعقيدة (التواكل) من حيث لا ندري، تلك العقيدة التي تجعل منا متفرجين ومؤمنين بان للغة العربية ربا يحميها !!!.

إن وضع العربية بين أهلها يعاني من وجود مشكلتين أساسيتين متمثلتين في الهزيمة النفسية تجاه اللغة العربية، والثقة المفرطة بهذه اللغة، اما المشكلة الأولى فتتمثل في الروح الاستلابية لأبناء العربية، ان التحدي الاكبر للغة العربية ينبع من الداخل، من النفسية المهزومة التي فقدت احساسها بأهمية اللغة العربية الفصيحة، فلم يعد لها في جوانحها تلك المكانة التي كانت لها عند الأسلاف القدماء أو الاجداد القريبين، بل بلغ الاستخفاف بها درجات من الانحدار الثقافي لا يكاد يوجد لدى اي امة من الأمم مهما بلغت من الضعف والمهانة، لقد طردت اللغة من مواقع كثيرة كان من المفترض ان تسود فيها حديثا وكتابة، ومن اهمها المؤسسات التربوية ابتداء من المدرسة الابتدائية وانتهاء بالمرحلة الجامعية[١١٣].

فقد غدت اجادة اللغة الانجليزية أو الفرنسية ميزة للمتحدثين باللغة العربية في المجال العلمي، والفكري، واصبحت الاحالة على المراجع الاجنبية، وإقحام المصطلحات الاجنبية دليلا على سعة الاطلاع في التخصص، وتبوأت اللغة الاجنبية مكانا خاصا في السياسة التعليمية الأولى، والجامعية، ولم تنج

المؤسسات التعليمية الإسلامية من ذلك، وغدا التعايش مع اللغة الانجليزية أو الفرنسية عاديا لدى الإنسان العربي، ونشأ الطفل العربي على تمجيد اللغة الانجليزية بصفة خاصة. (١١٤)

ومن المؤسف ان اللغة العربية تعاني الاهمال في غالبية الدول العربية، ويشير احد الباحثين إلى ان الأبحاث العلمية حول الاتصال اللغوي بمنطقة الخليج العربي تذكر ان اللغة الانجليزية تحتل المرتبة الأولى في التخاطب اليومي، يليها هجين لغوي خليط من العربية والانجليزية، ثم اللهجة الخليجية في المرتبة الثالثة، ثم خليط من الهندية والاردية والعربية في المرتبة الرابعة، ثم تأتي اللهجة المصرية في المرتبة الخامسة(١١٥).

إن التحدي الذي يواجه اللغة العربية في هذا العصر مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الاجنبية الناتج غالبا عن الانبهار بكل ما هو اجنبي، والظن الزائف بان التقدم لا يأتي الا عن طريق اتقان اللغة الاجنبية للجميع، بل والتحدث بها بين العرب انفسهم*، وغني عن الذكر ان هذا الشعور يأتي من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعاني منها الإنسان العربي في هذا العصر، والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة الذي يمثل المنتصر والغالب، ومعروف رأي ابن خلدون في مثل هذه الحالة التي يعجب فيها المغلوب بالغالب فيتشبه به (في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده)(١١٦).

إن آية لغة لا تمتلك قدراتها في ذاتها فحسب وإنما تستمد اللغة قدرتها وتفوقها وانتشارها من قدرة اهلها على النهوض، والرقي والتفوق والتحضر، ووضع مشروع حضاري وتنموي قادر على ان ينقلهم إلى ما يعزفون عليه من الانعتاق من التخلف والجهل والانطلاق إلى رحاب من العلم والمعرفة والثقافة(١١٧).

يقول ابن حزم الاندلسي: ((ان اللغة يسقط اكثرها ويبطل بسقوط دولة اهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم فانما يقيد لغة الأمة وعلومها واخبارها قوة دولتها ونشاط اهلها.. اما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة اعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر وربما كان سببا لذهاب لغتهم)).[١١٨]

يقول الدكتور احمد مختار عمر واصفا العربية بانه على الرغم مما ((تمتلكه اللغة العربية من امكانيات ضخمة، ووسائل متنوعة، واسباب متعددة، تضمن لها البقاء والاستمرار..لغة يلفظها ابناؤها في كل مجالات الحياة وينظرون اليها نظرة ازدراء وامتهان، ويعالون عليها في كل مناسبة وبدون مناسبة، لغة يتبرأ منها مثقفوها على كل المستويات وفي شتى التخصصات... لغة لا يخجل من الخطأ فيها احد ولا يسعى لاتقانها انسان، ولا يعبأ ان يجيدها مثقف)).[١١٩]

إن لغتنا القومية - كما يرى الدكتور كمال محمد بشسر - ((مضطربة اضطراب اهليها فكريا وعلميا وثقافيا واجتماعيا.. وكان طبيعيا ان يحار الناس إزاء هذا الوضع المضطرب، فتفرقوا شيعا واحزابا لكل منها وجهة نظر (صائبة أو غير صائبة) تدعو إلى الاخذ بهذا المستوى أو ذاك، ولم ينته اي من الفرقاء إلى رأي حاسم أو خط واضح))[١٢٠].

وإذا كانت المشكلة تكمن في تلك الروح الاستلابية التي يعاني منها الإنسان العربي، فانه من غير من المنصف ان تتحمل اللغة العربية مسؤولية الضعف التي تعاني منها هذه اللغة، بحجة ان اللغة الانجليزية يجب ان تكون هي السائدة لأنها اضحت لغة العلم والثقافة في كل العالم، إذ ان العجز حتى ولو بدا لنا واضحا في مرحلة الضعف والهبوط، إنما هو في الإنسان وليس في اللغة نفسها، إذ ان مشكلة لغتنا العربية تكمن في شيوع فلسفات الهزيمة والعجز

والتخلف ومسوغاتها، لذلك فبدل ان تتحول الهزيمة إلى استفزاز وتحد للفاعلية، تجمع طاقات الأمة وتشعرها بالخطر وتدفعها إلى النهوض، تصبح وسيلة للركود والتقليد والاطمئنان المغشوش[١٢١].

وربما كان من ابرز مظاهر الركود والاطمئنان الزائف هو تلك الروح الواثقة من المجهول، التي تتذرع بالتأويلات والتبريرات غير العلمية، والتي ترى في اللغة العربية احسن اللغات العالمية لان بها نزل كتاب الله الخالد، لذا يتحتم علينا ان نتسلح بالعلمية والاكاديمية، بدلا من الشعارات التي ترفع في اغلب المناسبات والتي يدور فيها نقاش حول امجاد العربية، ((فقد آن الاوان ان ننتقل بلغتنا من مرحلة الجدالية والمنافحة إلى مرحلة البناء والخدمة العلمية، والمسألة مبتوتة بوضوح فاللغة مصيرنا وقدرنا ومن يخلعها كمن يخلع جلده، فاذا كانت البلغارية تصلح، والسنغالية تصلح، والفيتنامية تصلح، والعبرية القديمة صلحت وتجددت، فهل هناك لزوم للتكلم عن صلاحية لغة عريقة حية كالعربية، ولكن هذا التأكيد لا يعني ان العربي المعاصر مستريح مع لغته ومطمئن لوضعها الحالي، ومتقن لها وقادر على منافسة لغات أخرى كالانجليزية !، ان الصعوبات موجودة، والتحديات القادمة في عصر المعلومات والسبرانية (فن التحكم والضبط) والفضاء والثورة التقانية كبيرة جدا، وما انجز حتى الآن في خدمة العربية لا يوازي ضخامة التحديات، ولذلك تبدو اللغة العربية عند اكثر مستعمليها من غير المتخصصين باللغة والأدب اشبه بعبء على مستخدمها، ولاسيما في مجالات العلم والمهن والتجارة والتبادلات اليومية، والمطلوب الآن تحويلها من سيكلوجية اللغة العبء إلى اللغة الدافع، ومن سيكلوجية القلق التعبيري إلى قوة الثقة بالنفس، ومن الشعور بالعجز إلى الشعور بالراحة والطمأنينة والفائدة والبهجة، واخيرا من فداحة الشعور بان العربية اشبه بلغة اجنبية مسقطة قسرا على مستخدميها إلى نعمة التآلف مع

اللغة وحرية الانتقاء من كنوزها وسعادة الاحساس بتجاوبها مع مستلزمات التفكير والتعبير))[١٢٢].

يجب - اذن - ان ننأى بعيدا عن تبجيل لغتنا العربية والانتقال من العاطفة إلى العلمية.. فعلى الرغم مما تتميز بها اللغة العربية من خصائص تستطيع من خلالها الوقوف في ميدان التحدي الحضاري، وبخاصة ما صرح به كثير من علماء اللغة قديما وحديثا عربا واجانب[١٢٣]، فقد اصبح هذا المسلك الدفاعي التبجلي منتقدا لدى كثير من الدارسين الذين يتقمصون لباس الحياد عند الكتابة عن لغتهم، ويعدون ما نالها من التبجيل والمديح قد نال لغات أخرى في العالم من قبل اهلها، وهو ما يدخل في باب التحيز اللغوي الذي لم تكد تنجو منه لغة مهمة [١٢٤].

إن روح التحيز والابتعاد عن الحياة في معالجة قضايا لغتنا العربية والتقليل من التحديات التي تواجهها، لا تلامس حقيقة الوضع اللغوي الراهن، لاسيما ان تلك الروح العاطفية التي تنظر إلى اللغة العربية من منظار متعالٍ تستند إلى معطيات لا تخص اللغة العربية وحدها، وانما بعض هذه المعطيات التي نعتز بوجودها في لغتنا العربية هي في الحقيقة تشاركها لغات أخرى، واذا كانت لغتنا العربية تملك ما تملك من معطيات وخصائص ومميزات وامكانيات فما فائدة ذلك كله وهي تواجه ازمات شديدة ليس اقلها غربتها بين اهلها وليس اكبرها منافسة اللغة الانجليزية لها.

إن هذه النظرة التواكلية نابعة أساسا من تأويل مغلوط، مفاده ان الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ اللغة العربية بحفظه للقرآن الكريم، ومن ثم فلا داعي للقلق، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، إذ المقصود من الآية لا يخرج عن حفظ الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم، الا ان ((العرب في مجمل مأخوذون بالاطمئنان المتجدد الدائم ان

لغتهم - بكل جلالها وعلو شأنها - لا يمكن ان تنال الايام منها فضلا عن ان تنقرض أو تندثر، فذلك مما هو غير وارد ولا محتمل، لانه يناقض القداسة التي سبق لهم ان خلعوها عليها من تلقاء ظنهم حين جمحت بهم مراكب التأويل، انه الاطمئنان الذي ورّثهم سكينة في النفس امست تخدّر فيهم تيقُّظ الوعي وتمتص منهم دفق التوتر التأملي التوّاق، هم يخلدون إلى ما افترضوه من كفالة قدسية اصطنعها لهم وهمهم الخادع، وما انزل الله بها من سلطان، هم يتّكلون على الغيب ولم يطلعهم احد على غيب الله، ولا جاءتهم في يوم من الايام ادنى اشارة من لدن رب العزة ولا من لدن رسوله الاكرم، انه الجريان وراء الكفالة لأنها تنعم عليهم بالمظلة الحانية، وقد سبق للناس ان اختطفوا المبدأ السامي الذي صاغ التوكل كقيمة من قيم الإيمان والتسليم، فحرفوه، وصنعوا من ثقافة اتكالية اقعدتهم حتى اوهنتهم))[١٢٥].

ومن ثم لا يجوز بتاتا ان نترك اللغة العربية تصارع تيار العولمة وحدها والاستناد إلى مقولة (للبيت رب يحميه)، بمعنى ان لا خوف على العربية من أي عولمة أو معركة، لان الله سبحانه كفيل بحمايتها، فالنص الرباني لا يعني بالضرورة ان الله تعالى ضمن حفظ الذكر(القرآن)، لذا يمكن ان تنقرض العربية والقرآن باق إلى يوم يبعثون، والدليل على ذلك انقراض اللغة العربية في بعض الدول الإسلامية - كإيران وتركيا واسبانيا - وكانت العربية لغة البلاد الرسمية ولغة الدين والثقافة والحضارة على مدى قرون من الزمن، وبقي القرآن في هذه الدول وسيبقى[١٢٦].

إن اللغات منزوع عنها جلباب الوهم الخادع الذي ساق أصحابه إلى تخيّل قداسة ذاتية في لغتهم القومية فقعدوا عن نصرتها على الأرض ضانين انها محمية بالسماء، فلم يكن وهم كوهمهم، ولا شطط في التقدير كشططهم، نسوا ان المقدس والمطلق والسرمدي كلها من شمائل الوجود المتعالي ولا شأن

للظواهر التي على الأرض بها، فالوهم ينجلي حين يظن بعضنا ان في اللغة العربية قداسة ستقوم بما تقوم به المعجزات الخوارق للعادات فتصونها من الانقراض وان انبثقت دواعيه، وتبقى صامدة شامخة متسامقة وان تألب الجميع عليها وتخاذل في نصرتها ابناؤها(١٢٧).

يقول ابن حزم في معرض الرد على من اخذتهم العزة بلغتهم لان القرآن الكرين نزل بها: ((وقد توهم قوم في لغتهم انها افضل اللغات، وهذا لا معنى له، لان وجوه الفضل معروفة، وانما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة، وقد قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (ابراهيم: ٤)(١٢٨)، ثم يقول ((وقد قال قوم العربية افضل اللغات لان بها نزل كلام الله تعالى، وهذا لا معنى له لان الله عز وجل قد اخبرنا انه لم يرسل رسولا الا بلسان قومه، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء : ١٩٦)، فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد انزل التوراة، والانجيل، والزبور، وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية، وانزل الصحف على ابراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا)).(١٢٩)

ليس هناك - اذن - لغة افضل من أخرى في المطلق، وكل لغة هي عند اهلها افضل اللغات واذا تفاضلت اللغات فليست اللغة فضلى بالذات والمنشأ وانما هي فضلى بالاكتساب، والافضلية ليست قيمة محايثة ولكنها قيمة مفارقة، تنشئها أسباب موضوعية فتبقى ما بقيت اسبابها، وتزول ما زالت، صحيح ان اللغة العربية قد كرمها الخالق بان جعلها لسان الرسالة السماوية الخاتمة، وصحيح كذلك انه اصطفاها ليصوغ بها الاعجاز الادائي الذي تحدى الإنسان فحمله على الاذعان والتسليم، ولكنّ ذلك لم يأت كي يدفع إلى الغرور أو

ينفخ في مركزية الذات الثقافية، ولئن اختار الله ان يثبت اعجازه عن طريق اللسان العربي فانه ما كان يعزب عليه ان يثبته باي لسان من الالسنة، وهنا تكمن المعجزة لو تفحصناها بمجهر الكشف الثقافي السابح بين ارجاء الحضارات الإنسانية، فاللغة العربية - العزيزة علينا جدا - كائن غير مقدس في ذاته، ففعل اللغة بريء، ولكن فعل الخالق هو المقدس، ان يهبنا الخالق سبحانه لغة فذاك منة ربانية، اما ان يخلقها فذاك هو المقدس، والاعجاز الالهي هو في جعل اللغة غير المقدسة مطية لانشاء نص مقدس يتجاوز طاقة الإنسان في استعماله اللغة[١٣٠].

فضلاً عما تقدم من تحديات تواجه اللغة العربية نابعة من داخلها، فان هناك تحديات ليست اقل خطرا من سابقاتها، وهذه التحديات خارجية تسعى إلى طمس معالم اللغة العربية وسحقها، مما جعلت هذه التحديات من بعض الباحثين يعلنون حالة الاستنفار قلقين ومحذرين من مخاطر محدقة تحاصر العربية وتهدد كيانها، انها مخاطر العدوان الخارجي المنظم، الذي لا ينسحب هذه المرة إلى نظرية المؤامرة، بل هي الحقيقة في ذاتها، واذا كان المثقف يستهجن مثل هذا الكلام في مرحلة ما بداعي الحياد والابتعاد عن كل ما يوصمه بـ(عقدة المؤامرة)، فان احدا لا يستطيع ان يرى في باحث مفكر مثل الدكتور عبد السلام المسيدي أنموذجا للمثقف الذي يؤمن بهذه النظرية أو نستطيع وصمه بعقدة المؤامرة، ولا نستطيع ان نشك - من خلال طروحاته المتعددة العلمية الرصينة - انه بعيد عن الحياد، انه اليوم يدق ناقوس الخطر على العربية، ولا بأس ان نقتبس بعضا من فقراته من كتابه (العرب والانتحار اللغوي)، واقتباسنا له لا يعني باي حال من الاحوال تصديقا لما نذهب اليه من المؤامرة التي تحاك ضد العربية فحسب، بل لنؤكد ان الباحثين الذين كانوا بعيدين كل البعد عن نظرية المؤامرة نراهم اليوم وهم اقرب ما يكونون واقفين على ثغور

العربية مدافعين عن حصونها ومحذرين من حالة الانتحار التي تقدم عليها الشعوب العربية.

يقول الدكتور المسدي: ((ان وضع اللغة العربية في هذه المرحلة التاريخية وضع حرج جدا، فهنالك حملة واسعة تصاحب حملة الكونية الثقافية تتقصد النيل من كل الثقافات الإنسانية ذات الجذور الحضارية المتأصلة، وفي مقدمتها اللغة العربية، وتتوسل هذه الحملات العدائية دائما بالعامل اللغوي، وكثيرا ما تتعلل بان العربية الفصحى لغة مفارقة للواقع المعيش، فتحاول ان تبث الوهم بان لغة الواقع هي التي يجب ان تصبح اللغة الرسمية، وهذا معناه تحويلها إلى لغة تربوية، ثم إلى لغة إبداعية حتى يكتب بها الفكر، ومن هنا تتسلل المعاول الناسفة، اما المرمى البعيد المنشود فهو ان تلقى العربية المصير نفسه الذي صادفته اللغة اللاتينية بان تنحل إلى لهجات تتطور إلى لغات قائمة الذات))[١٣١].

ويرى المسدي ان الهجوم على العربية والترصد يأخذ شكلا منظما إذ انه ((يتخذ شكل الحرب الصامتة الناسفة، بسلاح المسكوت عنه، وهو اوقع في النفوس، واقدر على تملك الاغرار، ولهذا الترصد اسبابه الموضوعية: فهناك اليوم قلق حقيقي يساور كبار المهندسين الذين يرسمون خريطة الاستراتيجية الكونية، وقد يصل ذلك القلق ببعضهم إلى درجة الخوف، وببعضهم الآخر إلى درجة الفزع، اما موضوع الأمر فهو احتمال تزايد الوزن الحضاري للغة العربية في المستقبل المنظور فضلا عن المستقبل البعيد. ان هؤلاء المخططين الاستراتيجيين يقرؤون للحقيقة الموضوعية حسابها، فاللسان العربي هو اللغة القومية لحوالي ٣٣٧ مليونا (في احصاء عام ٢٠٠٧)، وهو يمثل إلى جانب ذلك مرجعية اعتبارية لاكثر من ٩٥٠ مليون مسلم غير عربي كلهم يتوقون إلى اكتساب اللغة العربية، فان لم يتقنوها لأنها ليست لغتهم القومية فانهم في

اضعف الإيمان يناصرونها ويحتمون بأنموذجها))[١٣٢].

ويتابع الدكتور المسدي بـ((ان اللسان العربي حامل تراث، وناقل معرفة، وشاهد حي على الجذور التي استلهم منها الغرب نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبية والفلسفية، وهو بهذا الاعتبار يخيفهم اكثر مما يخيفهم اللسان الصيني أو الهندي، ولا يغفل هؤلاء المهندسون الثقافيون الساهرون على برمجة الذهن الجماعي في عصر الاممية والكونية عن الرسالة الحضارية والروحية التي حملت بها اللغة العربية، وهم العارفون بان التماهي بين الذات واللغة لم يبلغ تمامه الاقصى في الثقافات الإنسانية كما بلغه عند العرب بكل اطراد تاريخي وبكل تواتر فكري واجتماعي ونفسي، ما من شك ان الحضور المتكاثر للجاليات العربية والإسلامية في الدول الغربية حيث اصبحوا مواطنين في تلك البلدان لهم حقوقهم الدستورية في اللغة وفي المعتقد قد ضاعف شعور اصحاب القرار السياسي بتغير المشهد المألوف))[١٣٣].

ويعطي المسدي تبريرا لاؤلئك الذين يترصدون للغة العربية بان خوفهم من هذه اللغة مرده إلى شيء ((هو الصق بالحقيقة العلمية القاطعة، واعلق بمعطيات المعرفة اللسانية الحديثة، فلاول مرة في تاريخ البشرية - على ما نعلمه من التاريخ الموثوق به - يُكتب للسان طبيعي ان يعمّر حوالي سبعة عشر قرنا محتفظا بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية، فيطوعها جميعا ليواكب التطور الحتمي في الدلالات دون ان يتزعزع النظام الثلاثي من داخله، بينما يشهد العلم في اللسانيات التاريخية ان الاربعة قرون كانت فيما مضى هي الحد الاقصى الذي يبدأ بعده التغيير التدريجي لمكونات المنظومة اللغوية، وهذا حاصل قطعا بصرف النظر عن انتماء اللغة إلى اللغات الحضارية التي صنعت ثقافة إنسانية، اوبقائها في صنف الالسنة الطبيعية الفطرية كلغات شعوب كثيرة عاشت في المناطق الاستوائية، وفي المناطق القطبية، بين جُلّ قارات

المعمورة))[١٣٤].

تبعا لما تقدم نرى اننا ندخل عصرا جديدا ومرحلة ملغومة بكل المصاعب والتحديات العصيبة، نحن ندخل سباقا لا خيار لنا فيه، إما ان نحافظ على هويتنا ونصون لغتنا العربية، وإما نخسر تاريخنا وعمقنا الحضاري، ان المرحلة التي نمر فيها تتطلب منا عملا فعالا، وجهدا استثنائيا لمواجهة تحديات العولمة الثقافية وخصوصا اللغوية منها، انها مرحلة بقاء أو فناء، ان الأمة التي لا تقدس لغتها ولا تحترم تأريخها وارثها الحضاري هي امة مهزومة نفسيا ومنسلخة عن جلدها التاريخي، هي امة تعيش على موائد الآخرين تقتات الفتات، وتأكل من بقايا الأمم، هي لا تستحق ان تعيش، لأنها امة بلا قيم ولا مبادئ، تنازلت عن مقوماتها ومكتسباتها لتتماهى قيمها وتتلاشى خريطتها ليصبح واقعها بلا وجود وخريطتها بلا معالم.

## هوامش البحث

(١) في مفهوم العولمة، السيد ياسين، ضمن كتاب: العرب والعولمة، مجموعة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، تحرير: اسامة الخولي، اصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط:٣، ٢٠٠٣: ٣٩

(٢) دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ط:٥، ٢٠٠٧: ١٩٦.

(٣) خارج المنهج: قراءة في مفهوم النقد الثقافي عند ادورد سعيد، د. محمد الشحات، ضمن كتاب: القراءة وإشكالية المنهج، أعمال ندوة جامعة نزوى، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الاردن، جمع وتقديم: د. الهادي الجطلاوي: ٢٦٩ – ٢٧٠.

(٤) المصدر نفسه: ٢٧٧.

(٥) دليل الناقد الأدبي: ٣٠٥

(٦) استراتيجيات القراءة في النقد الثقافي.. نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص، عبد الفتاح احمد يوسف، مجلة عالم الفكر، ع: ١، يوليو – سبتمبر ٢٠٠٧، الكويت: ١٦٧.

(٧) الثقافة والمجتمع، رايموند وليامز، ت: وجيه سمعان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد: ٣٥٨، وينظر: البعد الثقافي في نقد الأدب العربي (١٩٧٥-٢٠٠٠)، حسن البنا عزالدين، ضمن كتاب: النقد الثقافي والنقد النسوي، اصدار د. عزالدين اسماعيل، اعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر، ٢٠٠٠، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر: ١٣٧.

(٨) هل تغير العولمة العلاقات بين النقد والتنظير، جوناثان اراك، ضمن كتاب: العولمة والنظرية الأدبية، اصدار د. عزالدين اسماعيل، اعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر، ٢٠٠٠، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر: ٢٠٣

(٩) دليل الناقد الأدبي: ١٩٤.

(١٠) هل تغير العولمة العلاقات بين النقد والتنظير: ٢٠٩، وينظر: دليل الناقد الأدبي: ١٨٧.

(١١) المصدر نفسه: ٢٠٩-٢١٠.

(١٢) ظاهرة العولمة رؤية نقدية، د. بركات محمد مراد، سلسلة كتاب الأمة، اصدار وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط: ١، ٢٠٠١: ٩١

(١٣) اللغة العربية وتحديات العولمة الثقافية، احمد تاج، مجلة حوليات التراث، الصادرة عن كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، الجزائر، ع:٦ / حزيران، ٢٠٠٦، http://annales.univ-mosta.dz/liens2.htm

(١٤) قضايا في الفكر، محمد عابد الجابري: ١٣٦، نقلا عن: البعد الثقافي لمفهوم العولمة واثره على الثابت والمتغير في الشريعة الاسلامية، ناصر بن سليمان السابعي، http://www.khayma.com/mtmb/book1.htm

(١٥) البعد الثقافي لمفهوم العولمة واثره على الثابت والمتغير في الشريعة الاسلامية، ناصر بن سليمان السابعي http://www.khayma.com/mtmb/book1.htm

(١٦) ظاهرة العولمة.. رؤية نقدية:٩١

(١٧) ينظر المصدر نفسه:٩٦

(١٨) العولمة والهوية الثقافية تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي، محمد عابد الجابري، ضمن كتاب العرب والعولمة: ٣٠٠

(١٩) ظاهرة العولمة.. رؤية نقدية: ٦٧

(٢٠) مفهوم العولمة، السيد يسين، ضمن كتاب العرب والعولمة: ٢٥

(٢١) مفهوم العولمة، السيد يسين، ضمن كتاب العرب والعولمة: ٢٧

(٢٢) ظاهرة العولمة.. رؤية نقدية: ٩١

(٢٣) البعد الثقافي لمفهوم العولمة واثره على الثابت والمتغير في الشريعة الاسلامية:http://www.khayma.com/mtmb/book1.htm

(٢٤) العرب والعولمة:٦٣

(٢٥) العلمانية والعولمة والازهركمال عبد الغني المرسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٦:٩٣، وينظر: ظاهرة العولمة.. رؤية نقدية:٦٦

(٢٦) العولمة والعالم الاسلامي، سعيد عبدو اسماعيل: ١٢، نقلا عن العولمة واللغة العربية، موفق زازوي، مجلة حوليات التراث، ع: ٦، ٢٠٠٦: http://annales.univ-mosta.dz/liens2.htm

(٢٧) العرب والعولمة.. ما العمل، محمد الاطرش، ضمن كتاب: العرب والعولمة: ٤١٢

(٢٨) العولمة والهوية الثقافية تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي، محمد عابد الجابري، ضمن كتاب العرب والعولمة: ٣٠٠

(٢٩) المصدر نفسه: ٣١٨

(٣٠) ظاهرة العولمة.. رؤية نقدية: ١٢٤-١٢٥

(٣١) المصدر نفسه: ١٢٢

(٣٢) ظاهرة العولمة.. رؤية نقدية: ٢٥

(٣٣) ما العولمة، د.محمد جلال العظم، د. حسن حنفي، سلسلة حوارات لقرن جديد، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩: ٤٢

(٣٤) المصدر نفسه: ٤٢

(٣٥) العولمة جذورها وفروعها، عبد الخالق عبدالله، مجلة عالم الفكر، ج:٢٨، ع: ٢، الكويت،١٩٩٩: ٩٠

(٣٦) الحضارة..دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها، د.حسين مؤنس،سلسلة عالم المعرفة، الكويت،١٩٩٨:٢٧

(٣٧) حديث النهايات.. فتوحات العولمة ومآزق الهوية، د.علي حرب:٣٠

(٣٨) معالم على طريق تحديث الفكر العربي، د. معن زيادة سلسلة عالم المعرفة، الكويت،١٩٨٧:٤٩

(٣٩) نهاية التاريخ والانسان الاخير، فرانسيس فوكاياما، ترجمة: د.فؤاد شاهين، د.جميل قاسم، رضا الشيبي، اشراف ومراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الانماء القومي، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٩٩٣: ٢٦٧ - ٢٦٨

(٤٠) نحن والآخرون/ النظرة الفرنسية للتنوع البشري، تزفيتان تودوروف، نقلا عن: ثقافة الارهاب والعولمة، حسب الله يحيى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط:١، ٢٠٠٤: ١٧

(٤١) المصدر نفسه: ١٨

(٤٢) صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، صموئيل هنتنغتون، ت: د. مالك عبيد ابو شهيوة، د.محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ليبيا، ط: ١، ١٩٩٩: ١٠٦، ١٠٧

(٤٣) صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي: ١٠٦

(٤٤) حديث النهايات، فتوخات العولمة ومآزق الهوية: ٧٠-٧١

(٤٥) لسان حضارة القرآن، محمد الاوراغي، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، منشورات الاختلاف - الجزائر، دار الامان - الرباط، ط: ١، ٢٠١٠: ٢٠.

(٤٦) اللغة والهوية: ٧-٨.

(٤٧) الانتحار اللغوي: ٦١

(٤٨) مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، سلسلة في التنوير الاسلامي ع: ٣٢، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٩:

(٤٩) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، فرج عبد القادر طه، دار سعاد الصباح، الكويت ١٩٩٣:

(٥٠) البنية العاملية للهوية الثقافية، محمد ابراهيم عيد، مجلة الارشاد النفسي، جامعة عين شمس، ع: ١٢، السنة: ٨: ٢٦

(٥١) الحفاظ على الهوية والثقافة الاسلامية في اطار الرؤية المتكاملة، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري:
http://www.ibadhiyah.net/maktabah/showthread.php?threadid=15&perpage=1&pagenumber=10

(٥٢) اللغة العربية وعلاقتها بالهوية، الشريف كرمة، مجلة حوليات التراث، ع:٦، ٢٠٠٦:http://annales.univ-mosta.dz/liens2.htm

(٥٣) اللغة والوجود القومي، ياسين خليل، ضمن كتاب " اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل" اصدار مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت، ط:١، ٢٠٠٥: ٣٨

(٥٤) اللغة العربية وتحديات العولمة: ٧٧.

(٥٥) الوعي اللغوي، منير الحافظ: ١٨

(٥٦) ينظر: اللغة العربية وتحديات العولمة: ٨٥

(٥٧) العرب والانتحار اللغوي: ٣٠-٣١

(٥٨) العربية والامن اللغوي نظرة معاصرة، د. زهير غازي زاهد: ١٣-١٤

(٥٩) لغتنا العربية جزء من هويتنا، عمار بوحوش، ضمن كتاب اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل، اصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط:١،٢٠٠٥: ١٢

(٦٠) مقدمة الاستاذ عمر عبيد حسنة لكتاب " نحو تقويم جديد للكتابة العربية " تأليف د. طالب عبد الرحمن، سلسلة كتاب الأمة، الصادر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط:١، ١٩٩٩: ٢١-٢٢

(٦١) الوعي اللغوي: ٦٣-٦٤

(٦٢) الثقافة العربية وعصر المعلومات،رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، د. نبيل علي، سلسلة عالم المعرفة،الكويت ط:١، ٢٠٠١،: ٢٣٢

(٦٣) الوعي اللغوي: ٢٧

(٦٤) العرب والانتحار اللغوي: ٢٤، ٢٨، ٤٣.

(٦٥) صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي: ٧١، ٧٣.

(٦٦) الحضارة..دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها: ٥٤

(٦٧) الحضارة..دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها: ٥٥

(٦٨) المصدر نفسه: ٥٤

(٦٩) ام اللغات، سعيد احمد بيومي، نقلا عن: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، ليلى صديق، مجلة حوليات التراث، ع: ٥، مارس ٢٠٠٦ : http://annales.univmosta.dz/liens2.htm

(٧٠) ام اللغات، سعيد احمد بيومي، نقلا عن: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، ليلى صديق، مجلة حوليات التراث، ع: ٥، مارس ٢٠٠٦ : http://annales.univmosta.dz/liens2.htm، وينظر ايضا: واقع اللغة العربية عربيا ودوليا، أ. شحادة الخوري، مجلة التعريب، ع: ٢١، حزيران/يونيو،٢٠٠١: ٣٥

(٧١) تطور دلالات الالفاظ العربية الاصل في اللغة الرومانية، المجلة العربية للثقافة، تونس،ع: ٢٨ مارس ١٩٩٥، ص:١٧١، نقلا عن: المصدر السابق

(٧٢) دراسات لغوية، د. عبد الصبور شاهين: ٢٢٩- ٢٣٠، نقلا عن المصدر السابق

(٧٣) ينظر الفصل الذي عقده السيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) باسم: "فيما وقع فيه بغير لغة العرب"٢/١٠٥-١٢٠، ت: محمد ابو الفضل ابراهيم، مكتبة التراث /القاهرة.

(٧٤) الحضارة..دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها: ٥٥

(٧٥) المصدر نفسه: ٥٥-٥٦

(٧٦) لغتنا والحياة، د. عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ ": ١٠٤-١

(٧٧) تعريب التعليم العالي في العراق، د. احمد مطلوب، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع: ٢٥-٢٦، تموز كانون الاول ١٩٨٤: ٤٦

(٧٨) الثقافة العربية وعصر المعلومات: ٤١١

(٧٩) المصدر نفسه:٤١١

(٨٠) المصدر نفسه: ٢٨٥

(٨١) ينظر: اللغات الاصطناعية، د. طالب عبد الرحمن، جريدة الحدباء، الموصل،١٩٨٨/٢/١٦. نقلا عن : العربية تواجه التحديات، للكاتب نفسه، ضمن سلسلة كتاب الأمة الصادر في قطر: ١٣٤، وينظر ايضا: العربية والامن اللغوي نظرة معاصرة: ١٨-١٩-٢٠، حيث قام الدكتور زهير

غازي زاهد بمتابعة الجهود التي بذلت في سبيل ايجاد لغة اصطناعية. وينظر: لسان حضارة القرآن، محمد الاوراغي: ١٧٣.

(٨٢) العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية، د. احمد عبد السلام / مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع: ٦٠، كانون الثاني - حزيران، ٢٠٠١: ١٣٥

(٨٣) الثقافة العربية وعصر المعلومات: ٢٣٧

(٨٤) العربية في عصر المعلوماتية.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، د. حسام الخطيب، مجلة التعريب، ع:١٥، حزيران / يونيو ١٩٩٨،: ٧٥

(٨٥) ينظر: العولمة اللغوية، هيثم بن جواد الحداد:www.haitham.com

(٨٦) العربية في عصر المعلوماتية.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة: ٧٦

(٨٧) المصدر نفسه:٧٥-٧٦

(٨٨) خطورة تتضاعف في ظل العولمة، د. خير الدين عبد الرحمن، جريدة الاسبوع الأدبي، ع: ١٠٠٦، ٢٠٠٦/٥/١٣ http://www.awu -dam.org/esbou1000/1006/isb1006-008.htm

(٨٩) العولمة اللغوية، هيثم الحداد: www.haitham.com، وينظر ايضا: اثر العولمة في اللسان الرسمي العربية أنموذجا ـــ، مجلة اللغة العربية، المجلس الاعلى للغة العربية، ع: ٥، الجزائر ٢٠٠١:١٢٨، نقلا عن: اللغة العربية وتحديات العولمة الثقافية، محمد تاج، مجلة حوليات التراث،ع: ٦، ٢٠٠٦:http://annales.univ-mosta.dz/liens2.htm

(٩٠) Language in Danger: The Loss of Linguistic Diversity and the Treat to Our future Colombia University press. 2003. نقلا عن: خطورة تتضاعف في ظل العولمة، د. خير الدين عبد الرحمن، جريدة الاسبوع الأدبي، ع: ١٠٠٦، ٢٠٠٦/٥/١٣: http://www.awu-dam.org/esbou1000/1006/isb1006-008.htm

(٩١) العرب والانتحار اللغوي، د. عبدالسلام المسدي: ١٦

(٩٢) ينظر: مستقبل اللغة، جريدة الشرق الاوسط، امير ظاهري، ع: ٧٥٧٥، ١٩٩٩/٨/٢٥: ١١، وينظر ايضا: اللغة العربية في عصر العولمة، د. احمد بن محمد الضبيب، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط:١، ٢٠٠١: ٦٥

(٩٣) العولمة واللغة العربية، د.علاء الدين زعتري، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر" اللغة العربية امام تحديات العولمة " المنعقد في دمشق للفترة من ٨-٩ نيسان ٢٠٠٢ : http://www.alzatari.org/

(٩٤) قناة الجزيرة الفضائية، السبت ٢٠٠١/٢/١٠م، نقلا عن: العولمة اللغوية، هيثم بن جواد الحداد : www.haitham.com

(٩٥) العولمة واللغة العربية، د.علاء الدين زعتري، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر" اللغة العربية امام تحديات العولمة " المنعقد في دمشق للفترة من ٨-٩ نيسان ٢٠٠٢: http://www.alzatari.org/

(٩٦) العولمة اللغوية، هيثم الحداد: www.haitham.com

(٩٧) العولمة اللغوية، هيثم الحداد: www.haitham.com

(٩٨) Language in Danger: The Loss of Linguistic Diversity and the Treat to Our future Colombia University press. 2003. نقلا عن: خطورة تتضاعف في ظل العولمة، د. خير الدين عبد الرحمن، جريدة الاسبوع الأدبي، ع: ١٠٠٦، ٢٠٠٦/٥/١٣: http://www.awu-dam.org/esbou1000/1006/isb1006-008.htm

(٩٩) العربية في عصر المعلوماتية.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة: ٧٥

(١٠٠) الامم والهويات وتكنولوجيات العولمة، مارك بوستر، ضمن كتاب: العولمة والنظرية الأدبية، اصدار د. عزالدين اسماعيل، اعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر، ٢٠٠٠، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر: ٢٠

(١٠١) مقدمة الاستاذ عمر عبيد حسنة لكتاب نحو تقويم جديد للكتابة العربية، تاليف د. طالب عبد الرحمن: ٢٣

(١٠٢) العولمة واللغة العربية، موفق زازوي، مجلة حوليات التراث،ع: ٦، ٢٠٠٦: http://annales.univ-mosta.dz/liens2.htm، يذكر الباحث الدكتور احمد عفيفي من جامعة القاهرة موقفا حدث لاحد المعاهد الفرنسية (معهد باستور)، إذ قررت ادارة المعهد ان تصدر حولياتها باللغة الانجليزية، ونُشر خبر بهذا الشأن، ولم يمر مرورا عابرا كغيره من الاخبار، لقد ثارت ثائرة العلماء والكتاب والصحفيين والسياسيين وعدّوا ان هذا الأمر خطير جدا، ولا يمكن السكوت عليه، وانتفضت وسائل الاعلام للدفاع عن اللغة الفرنسية، فعلى غلاف مجلة (جور دي فرانس) كتبت العبارة الآتية: (اللغة الفرنسية في خطر). كذلك كتب على الغلاف: (الجرثومة الانجلوفونية في معهد باستور. يالللفضيحة). اما البير جالكوار عالم الاجنة في معهد الدراسات الوطنية الديمغرافية فيقول: (انني شعرت بعقم هذه الفضيحة.... اللغة الفرنسية لم تعد عند هؤلاء سوى لسان فئة منحطة من الشعب)، وطالب ان تقطع كل المساعدات لمعهد باستور حتى يرجع عن قراره. اما (ليليان لابلان) رئيس تحرير الجريدة الطبية اليومية وعضو لجنة الدفاع عن اللغة الفرنسية، فقد وصف ما فعله معهد باستور (بانه عمل خطير ويمس بالسمعة الوطنية لفرنسا وبهيبتها) ودعا الاكاديمية الطبية بالشجب لما فعله معهد باستور، واشار الى ان اللغة الفرنسية تختفي تدريجيا من المنابر الدولية، وبهذا لا يعد موقف معهد باستور عملا عارضا، واشار الى ان التخلي عن اللغة انما هو التخلي عن التراث الفرنسي الثقافي. وقد اقترح كتاب آخرون ضرورة تنظيم مظاهرة احتجاج امام معهد باستور. اما (شامفو) وهو احد الوطنيين الفرنسيين فيقول: ان اللغة هي الوطن، فلنكن مع الوطن، وطالب من جميع المستشارين الثقافيين ضرورة إلغاء اشتراكاتهم في معهد باستور تأديبا له. ينظر: اللغة بين الثابت والمتغير، د. احمد عفيفي، دار غريب للطباعة والنشر والتويع، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٩: ٦٥-٦٦.

(١٠٣) الثقافة العربية وعصر المعلومات: ٢٣٨

(١٠٤) العولمة اللغوية، هيثم الحداد www.haitham.com

(١٠٥) العولمة اللغوية، هيثم الحداد: www.haitham.com، ويروي الدكتور عبدالسلام المسدي في كتابه (العرب والانتحار اللغوي) قصة طالبة المانية نجحت في شهادة البكالوريا الثانوية العامة بتفوق وامتياز في كل مواد الامتحان، ولكنها رسبت ولم تمنح الشهادة لأنها كانت ضعيفة في اللغة الالمانية، ولم يشفع لها تفوقها في كل المواد الاخرى لدى الجهة التعليمية المسؤولة، ورفعت الطالبة امرها الى محكمة فرانكفورت مطالبة بإلغاء قرار رسوبها، وبالحكم لها بالنجاح وبحقها في الشهادة، مستندة في كل ذلك الى تفوقها في كل المواد، ومدعية ان ضعفها في اللغة الالمانية ليس مسوغا لرسوبها، ولكن المحكمة رفضت طلبها وأيدت قرار الجهة التعليمية المختصة في قرارها بالرسوب، ولم تيأس الطالبة فرفعت امرها الى درجات التقاضي الاعلى ولكنها رفضت دعواها وصادقت على قرار رسوبها، الى ان وصلت بقضيتها الى المحكمة الفيدرالية الاتحادية التي هي اعلى درجات التقاضي، نظرت المحكمة في دعوى الطالبة، وبعد الدراسة والتداول اقرّت الحكمَ برسوبها، لأنها رأت ان اللغة الالمانية هي التعبير عن الفكر الالماني المستقل، والمترجم الامين عن شخصية الالمانيين وهويتهم، وهي اهم مادة في الامتحان، والضعف في اللغة لا يغطيه التفوق في المواد الاخرى. ويعقب الدكتور المسدي على هذه الحادثة: انه الشاهد على هذه المواجهة الفعالة بين اللغة والهوية، وبناء على ذلك سرى بين خلجات الوعي الجماعي ان التشريع اللغوي كالراية التي ترفع عاليا على سطح معمار الهوية، وليس للامتزاج الوثيق بين القرار اللغوي والقرار السياسي من تفسير ولا تبرير الا انهما ينصهران في مِرجَل الهوية. العرب والانتحار اللغوي: ٦٥-٦٦

(١٠٦) الثقافة العربية وعصر المعلومات: ٢٣٨

(١٠٧) الثقافة العربية وعصر المعلومات: ٦٦

(١٠٨) العولمة اللغوية، هيثم الحداد: www.haitham.com

(١٠٩) اللغة والاقتصاد، فلوريا كولماس، ترجمة: د. احمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠: ١٤٤

(١١٠) العرب والانتحار اللغوي: ١٧

(١١١) العربية في عصر المعلوماتية.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة: ٧٥.

(١١٢) العربية في عصر المعلوماتية.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة: ٧٣-٧٤.

(١١٣) اللغة العربية في عصر العولمة: ١٤٦

(١١٤) العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية د. احمد عبدالسلام، مجلة مجمع اللغة العربية، الاردن، ع: ٦٠، س:٢٥، ٢٠٠١: ١٣٧-١٣٨

(١١٥) اللغة العربية تعيش غربة في وطنها... وواقعها مرتبط بالواقع العربي المتدهور، مجلة المجتمع، ع: ١٢٩٢، ١٩٩٨/٣/١٧: ٣٠.

* اذكر - انا شخصيا - انني حين سافرت سنة ٢٠٠٥ الى دولة الامارات العربية المتحدة فاني تفاجأت باني في دولة اجنبية ولست في دولة عربية خليجية، فقد وجدت حتى العرب والخليجيين يتحدثون معي باللغة الانجليزية، مما اضطرني ان استحضر بعض المفردات للتعامل مع العرب الانجليزيين !!

(١١٦) اللغة العربية في عصر العولمة: ١٦

(١١٧) المصدر نفسه: ١٧٣.

(١١٨) الإحكام في اصول الاحكام: ٣١/١.

(١١٩) اللغة العربية بين الموضوع والاداة، د. احمد مختار عمر، مجلة فصول، مج: ٤، ع: ٢، ابريل - مايو، ١٩٨٤: ١٤٢.

(١٢٠) اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د. كمال محمد بشر، دار غريب، ١٩٩٩: ٨.

(١٢١) نحو تقويم جديد للكتابة العربية، د. طالب عبد الرحمن: ٢٠، ٣٤، ٣٥، ٣٦

(١٢٢) العربية في عصر المعلوماتية.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة: ٦٧.

(١٢٣) كمثل ما صرح به عالم اللغة فاندريس إذ يقول: ((ان عبقرية بعض اللغات الهنداوربية او السامية مثل اللغة العربية في الانتشار هي نتيجة لاسباب عديدة بلا شك، ولكن القيمة الجوهرية للغة هي بلا شك احد هذه الاسباب))، او ما يقوله العالم اللغوي ادوارد سابير: ((هنالك خمس لغات فقط تشكل اهمية كبرى لنقل الحضارة هي اللغة الصينية القديمة والسنسكريتية والعربية والاغريقية واللاتينية )). ينظر: اللغة العربية في عصر العولمة: ٨٩. فضلا عما نؤمن به إيمانا مطلقا من ان اللغة العربية تتصف بصفتين مهمتين تتفرع منها باقي خصائصها وصفاتها وهما القدم والسعة، فهي قديمة بل اقدم لغة بقيت مستعملة حية حتى عصرنا هذا، اما سعتها فتظهر فيما وصل الينا من موادها بمعاجمها وموسوعاتها كلسان العرب وتاج العروس والعين وغيرها، وعدم القدرة على الاحاطة بهما مهما اوتي اللغوي من قدرة وحفظ، فضلا عن ذلك كله فان العربية لغة متطورة لم تقف عاجزة في استيعاب عصور من الحياة واجيال من المجتمع انما ظلت لغة الخطاب والأدب والعلوم. ينظر: الامن اللغوي: ٢٦،٢٣.

(١٢٤) ينظر: التحيز اللغوي، مظاهره واسبابه، حمزة قبلان المزيني، مجلة الابحاث، مج: ٤٣، ١٩٩٥، ٤٧-١٢٨، وينظر: اللغة العربية في عصر العولمة: ٨٨

(١٢٥) العرب والانتحار اللغوي: ٢٢٠-٢٢١

(١٢٦) اللغة العربية وتحديات العولمة، د. هادي نهر: ٢٩

(١٢٧) العرب والانتحار اللغوي: ٢٢٤، ٢٢٦

(١٢٨) الإحكام في اصول الاحكام: ٣٢/١
(١٢٩) المصدر نفسه: ٣٢/١
(١٣٠) العرب والانتحار اللغوي: ٢٢٧ - ٢٢٨
(١٣١) العرب والانتحار اللغوي: ٢٣-٢٤
(١٣٢) المصدر نفسه: ٢٤
(١٣٣) المصدر نفسه: ٢٥
(١٣٤) العرب والانتحار اللغوي: ٢٥

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً - الكتب:

- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث، القاهرة.
- الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الاندلسي، مطبعة العاصمة، القاهرة.
- ثقافة الارهاب والعولمة، حسب الله يحيى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط:١، ٢٠٠٤
- الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، د. نبيل علي، سلسلة عالم المعرفة،الكويت ط:١، ٢٠٠١
- الثقافة والمجتمع، رايموند وليامز، ت: وجيه سمعان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد
- الحضارة.. دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها، د.حسين مؤنس،سلسلة عالم المعرفة، الكويت،١٩٩٨
- حديث النهايات.. فتوحات العولمة ومآزق الهوية، د.علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان - الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٨.
- صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، صامويل هنتنغتون، ت: مالك عبيد ابو شهيوة ومحمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع،، ليبيا، ط: ١، ١٩٩٩.

- ظاهرة العولمة رؤية نقدية، د. بركات محمد مراد، سلسلة كتاب الأمة، اصدار وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط: ١، ٢٠٠١

- العرب والانتحار اللغوي، د. عبدالسلام المسدي،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط: ١، ٢٠١١.

- العرب والعولمة، مجموعة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، تحرير: اسامة الخولي، اصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط:٣، ٢٠٠٣

- العربية تواجه التحديات، د. طالب عبد الرحمن، ضمن سلسلة كتاب الأمة الصادر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط: ١، ٢٠٠٦.

- العربية والامن اللغوي نظرة معاصرة، د. زهير غازي زاهد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط: ١، ٢٠١٢.

- العلمانية والعولمة والازهر، كمال عبد الغني المرسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٦.

- العولمة والنظرية الأدبية، اصدار د. عزالدين اسماعيل، اعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر، ٢٠٠٠، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: ١، ٢٠٠٣.

- القراءة وإشكالية المنهج، أعمال ندوة جامعة نزوى، جمع وتقديم: د. الهادي الجطلاوي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الاردن،

- لسان حضارة القرآن، محمد الاوراغي، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، منشورات الاختلاف - الجزائر، دار الامان - الرباط، ط: ١، ٢٠١٠.

- لغتنا والحياة، د. عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ،

- اللغة بين الثابت والمتغير، د. احمد عفيفي، دار غريب للطباعة والنشر والتويع، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٩.

- اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مجموعة مؤلفين، اصدار مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط:٢٠٠٥،١

- اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د. كمال محمد بشر، دار غريب، ١٩٩٩.

- اللغة العربية في عصر العولمة، د. احمد بن محمد الضبيب، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط:١، ٢٠٠١

- اللغة العربية وتحديات العولمة، د. هادي نهر، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط: ١، ٢٠١٠.

- اللغة والاقتصاد، فلوريا كولماس، ترجمة: د. احمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠.

- اللغة والهوية، جون جوزيف، ت: د. عبدالنور خراقي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط: ١، ٢٠٠٧.

- ما العولمة ن د.محمد جلال العظم، د. حسن حنفي، سلسلة حوارات لقرن جديد، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩.

- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، سلسلة في التنوير الاسلامي ع: ٣٢، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٩.

- معالم على طريق تحديث الفكر العربي، د. معن زيادة سلسلة عالم المعرفة، الكويت،١٩٨٧

- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، فرج عبد القادر طه، دار سعاد الصباح، الكويت ١٩٩٣.

- نحو تقويم جديد للكتابة العربية " تأليف د. طالب عبد الرحمن، سلسلة كتاب الأمة، الصادر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط:١، ١٩٩٩

- النقد الثقافي والنقد النسوي، اصدار د. عزالدين اسماعيل، اعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، نوفمبر، ٢٠٠٠، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: ١، ٢٠٠٣.

- نهاية التاريخ والانسان الاخير، فرانسيس فوكاياما، ترجمة: د.فؤاد شاهين، د.جميل قاسم، رضا الشيبي، اشراف ومراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الانماء القومي، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٩٩٣

- الوعي اللغوي، منير الحافظ، دار الفرقد، دمشق، ط: ١، ٢٠٠٥.

**ثانياً - البحوث المنشورة في الدوريات:**

- استراتيجيات القراءة في النقد الثقافي.. نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص، عبد الفتاح احمد يوسف، مجلة عالم الفكر، ع: ١، يوليو - سبتمبر ٢٠٠٧، الكويت: ١٦٧.

- البنية العاملية للهوية الثقافية، محمد ابراهيم عيد، مجلة الارشاد النفسي، جامعة عين شمس، ع: ١٢، السنة: ٨

- التحيز اللغوي، مظاهره واسبابه، حمزة قبلان المزيني، مجلة الابحاث، مج: ٤٣، ١٩٩٥

- تعريب التعليم العالي في العراق، د. احمد مطلوب، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع: ٢٥-٢٦، تموز كانون الاول ١٩٨٤

- تطور دلالات الالفاظ العربية الاصل في اللغة الرومانية، المجلة العربية للثقافة، تونس،ع: ٢٨ مارس ١٩٩٥

- العربية في عصر المعلوماتية.. تحديات عاصفة ومواجهة متواضعة، د. حسام الخطيب، مجلة التعريب، ع:١٥، حزيران / يونيو ١٩٩٨

- العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية، د. احمد عبد السلام / مجلة مجمع اللغة العربية الاردني، ع: ٦٠، كانون الثاني - حزيران، ٢٠٠١

- العولمة جذورها وفروعها، عبد الخالق عبدالله، مجلة عالم الفكر، ج:٢٨، ع: ٢، الكويت، ١٩٩٩

- اللغة العربية بين الموضوع والاداة، د. احمد مختار عمر، مجلة فصول، مج: ٤، ع: ٢، ابريل - مايو، ١٩٨٤

- اللغة العربية تعيش غربة في وطنها... وواقعها مرتبط بالواقع العربي المتدهور، مجلة المجتمع، ع: ١٢٩٢، ١٩٩٨/٣/١٧

- مستقبل اللغة، جريدة الشرق الاوسط، امير ظاهري، ع: ٧٥٧٥، ١٩٩٩/٨/٢٥

- واقع اللغة العربية عربيا ودوليا، أ. شحادة الخوري، مجلة التعريب، ع: ٢١، حزيران/يونيو،٢٠٠١

**البحوث المنشورة في شبكة الانترنت:**

- ام اللغات، سعيد احمد بيومي، نقلا عن: تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، ليلى صديق، مجلة حوليات التراث، ع: ٥، مارس ٢٠٠٦: http://annales.univmosta.dz/liens2.htm

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.

- البعد الثقافي لمفهوم العولمة واثره على الثابت والمتغير في الشريعة الاسلامية، ناصر بن سليمان السابعي، http://www.khayma.com/mtmb/book1.htm

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.

- الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية في إطار الرؤية المتكاملة، د. عبد العزيز بن عثمان التويجري:

http://www.ibadhiyah.net/maktabah/showthread.php?threadid=15&perpage=1&pagenumber=10

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.

- خطورة تتضاعف في ظل العولمة، د. خير الدين عبد الرحمن، جريدة الاسبوع الأدبي، ع: ١٠٠٦، ٢٠٠٦/٥/١٣: http://www.awu-dam.org/esbou1000/1006/isb1006-008.htm

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.

- العولمة واللغة العربية، د.علاء الدين زعتري، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر" اللغة العربية امام تحديات العولمة " المنعقد في دمشق للفترة من ٨-٩ نيسان ٢٠٠٢: http://www.alzatari.org/

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.

- العولمة اللغوية، هيثم بن جواد الحداد: www.haitham.com تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.

- العولمة واللغة العربية، موفق زازوي، مجلة حوليات التراث،ع: ٦، ٢٠٠٦: http://annales.univ-mosta.dz/liens2.htm،

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.

- اللغة العربية وتحديات العولمة الثقافية، احمد تاج، مجلة حوليات التراث، الصادرة عن كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، الجزائر، ع:٦ / حزيران، ٢٠٠٦، http://annales.univ-mosta.dz/liens2.htm

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.

- اللغة العربية وعلاقتها بالهوية، الشريف كرمة، مجلة حوليات التراث، ع:٦، ٢٠٠٦:http://annales.univ-mosta.dz/liens2.htm

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٠٧/٢/٧.